انتفاضة حواء

مجموعة قصصية

لنخبة من الكُتاب والكاتبات

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

اسم الكتاب: انتفاضة حواء

اسم الكاتب: نخبة من الكُتّاب والكاتبات

رقم الإيداع: 2018/17013

الترقيم الدولي: 978-977-835-055-5

الطبعة الأولى:

2018

الناشـــر دار زحمـــة كُتـــاب 15 ش الســـباق- مـــول المريلاند- مصر الجديدة

تليفون: 01205100596

Email: za7ma- kotab@hotmail.com

تحت رعاية إدارة المحيط الأدبي

انتفاضة حواء

وأنا أفتش عن شيء لا أعلم ماهيته استوقفتني رسالة مهملة، كنت قد كتبتها منذ عدة أشهر أقول في افتتاحيتها: «مساء الخير ياصديقي العزيز..حررني من الانتظار!» أكملت قراءتها فتهاوت الأسئلة من كل حدب وصوب، هل كان فعلاً صديقاً عزيزاً، أم أنه ذكر لا يريد مني إلا تاء أنوثتي!.. هل بالغت في إطرائه؟ هل كنت أتسول عطفه؟ هل كنت حمقاء حين كتبتها؟ لما قيدني بالانتظار؟ هل وهل وهل ..الخ فشعرت بالغثيان... ثم بصقت بعض غضبي على بعضي، وركلت البقية.. لا أَسفة على حماقتي مهما كانت المبررات.

منذ عدة أعوام وبي ثورة غضب وحزن، فهل سينقذني العويل كالأطفال!! حتى خيالي الذي اعتمدت عليه كثيراً خذلني، لم يعد يعمل كالسابق! حتى أحلامي الجميلة أصابها العبث ! فمثلاً حلمت ليلة البارحة أن رجلاً عرض علي شراء أحد أمرين، إما زواج منه، أو رفقته دون الأول ! فرفضت شراء كليهما ورحلت مبتعدةً. أي عبث هذا !! تباً .. تباً تباً لبقايا الاشمئزاز في فمي، ألم يكتفي الواقع بصلبنا! : عموماً ، سأدعني أستشعر في هذه الساعة الحالكة الكثير من الأرق.. لا، كيف هذا ولديَّ انتفاضة حواء، سأغوص في أعماق حروفها لعلّي أجد ذاتي التي بحثت عنها كثيرًا..

انتفاضة حواء هو حُلم انسل من بين عقول و قلوب أقلام واعدة لترسم صورا عنكِ حواء!

عن أفراحك و أتراحك، عن طموحاتك ،

عن آمالك و إحباطاتك ، عن واقعك ككل

بحلوه و مره ، إيمانا منهم بأنكِ انتِ الحياة ، و دعوة منهم إليكِ بأن تنفضي عن نفسك غبار الخذلان و الخنوع و تعودي معهم و بقوة إلى مكانك المستحق، ألا و هو قلب الحياة....

إني أحاكم

محمد علي حسن

ما لي أراك مؤرِّقًا أظننت أني أرتجف
كل الآلام ستشرق وكرامتي صبر نزف

إني أُحاكم من رأى إني أُحاكم مجتمع
عرض يُباع ويُشترى وكأن روحي لن تَسع

إني أُحب حقيقتي أنثى وأملك مهجتي
سقط القناع عن الذي كان الخضوع وشكوتي

أنا لا أريد ممالكًا إني أريد كرامتي
إن كان عيشك راغدًا بالقهر أذرف دمعتي

إني أعيش مذلَّة والصبر كان جريمتي
هلا شققت محاسنًا إني أراك المنتقي
إن كان قلبك قاسيًا كيف السبيل لأرتقي؟!

ماذا لو ؟؟

يوسف حسين

أتى على حين غرة، وقدماه ثقيلتان، تتداعى روحه حزنًا على وهن، تحدث معي كثيرًا عن ما ألمّ به، سنوات يا رفيقي لم أرَ النور كما كُنت، كل شيء اكتسب صبغة رمادية، لم أعد أستطيع التعبير عن الفرح، لم أعد أعرف ماهية السعادة!! ولمَ كل هذا؟ ما الذي أجرمته في حق الأرض، لمَ تريد ابتلاعي كلما نويت النهوض! وأخذ يسرد القصص والحكايات، قصةً تليها أخرى، يتداخل في معظمها المبالغة والانكسار، لكني كُنت أعلم جيدًا أن الرجل وصل قمّة القنوط النفسي، فالسجائر التي استهلكها تفوق ضحكاته منذ البارحة؛ أنصتَت له كل جوارحي إلا أُذنيَّ، فحراسهما مصابان بالصمم ولم يعقلا ما تفوهَ به، كانت عيناي تتأملان سكنات عينيه وتلاحظان شغف يديه بإمساك من تسبب له بهذه المعاناة، كنت حريصًا على جعله يغرف ما في جوفه ليتقيأه على المنفضة، وحين أكمل تنهد بسكون.

هنا قمت بالبحث في خزانة رأسي، فجميع الأدراج ممتلئة بالردود، بأي العناوين أُهوِّن عليه، هذه الخزانة خاصة بالطعام والأخرى بالعشق وتلك بالتجارب وهذه القريبة جدًا للصمت، والتي في الأعلى للصبر والحكمة، وتلك الملقاة مبعثرة بالتفاؤل، الأدراج كثيرة وكذلك العناوين، اختصرت الطريق عليه وقلت "هل تريد المزيد من الماء؟" فرحل مخلفًا فوضى لا نظير لها على منفضة السجائر.

يبدو أنني من يريد الماء والله المستعان، بحثت عنه حتى عثرت عليه موضوعًا في كوب تحت المنضدة، حبوت كما يحبو الطفل الصغير وأمسكت به ثم رفعته نحو فمي، لكن قبل أن أرتشف منه ما يغسل جوفي من هراءات صديقي التي وقفت عالقة في حلقي، حضرت زوجتي بوجه عابس وعينين مرهقتين كحبتي عنب فاسدة، ثم قلبت بصرها في الغرفة، لمحة في وجهي وأخرى في المخلفات التي تركها صديقي ورحل؛ أخذت نفسًا عميقًا، وزفرته في عجالة استعدادًا لشجارنا اليومي، الذي بدأناه منذ عشر سنوات، اعتدناه منذ أول طفل لنا، وبات وجبتنا الدسمة التي نتناولها باستمرار، بدأت زوجتي بالثرثرة كعادتها مع التأفف والنظر لي باحتقار ثم تفوهت بغضب:

- قبل أن تنصح صديقك انصح نفسك.

نظرت إليها بنظرات مماثلة والتزمت الصمت لوهلة، حتى كررت جملتها وأضافت هذه المرة جملة أشد إهانة لرجولتي، لم أتحملها أكثر من ذلك، اقتربت منها وعيناي تطلقان شررًا وقد انكمش أنفي حتى التصق بجبيني من شدة الغضب، وقمت بلطمها على وجهها لطمة قوية، لم تستطع تحملها، وعلى إثرها اصطدمت رأسها بالحائط وسقطت أرضًا، حدقتها بنظرات أشد شراسة، كنت أود أن أمزقها إرْبًا وأوزعها في الشوارع لتكون وجبة شهية للكلاب الضالة، لكني تراجعتُ عندما رأيت طفلتي الصغيرة -ابنة الأربع سنوات- تصرخ وتركض نحوها حتى ارتمت بأحضانها، في حين أخفضَ الابن الأكبر رأسه أرضًا من شدة خجله نيابة عني، ثم تركتها على حالها وصعدت إلى الشقة الأخرى في الدور العلوي، حيث غرفة أبي، دلفت إليها وجلست فوق مكتبه وأنا أحدق في الغرفة باستنكار وكأنني أول مرة أمكث فيها، ثبّتُّ بصري على دولابه الذي لم يُفتح منذ وفاته، أخذني الفضول إلى

تفحّصه لأرى ما بداخله، نهضت عن مقعدي وهرولت نحوه، ما إن فتحت بابه حتى كدت أختنق من شدة التراب الذي هب على حين غفلة مني وكأنه عاصفة عاتية أتت بكل قوتها لتتحشرج في حلقي، تسد عني منافذ الهواء، سواء عن طريق الفم أو الأنف، شهقت شهقتين حتى استطعت التنفس مرة أخرى، ثم تراجعت خطوتين وانتظرت لوهلة حتى خلا الدولاب من غباره الذي كاد أن يقتلني ثم عدت ثانية إلى هناك، حدقت في محتوياته، ليس بالشيء الذي يثير انتباهي، كل شيء طبيعي لا جديد، لم يلفت انتباهي شيء مميز سوى مزهرية موضوعة في إحدى زوايا الرف العلوي، يخفي التراب ملامحها لكن بريقها يلمع في عيني، امتدت يدي لتمسك بها لكن سرعان ما وجدتها قطعتين، الجسد بالرقبة قطعة والأثاث قطعة أخرى تشبه طبق الطعام، لكن ما أثار فضولي أني مكثت قرابة ربع ساعة أبحث عن شرخ يدل على أن القطعتين كانتا جسدًا واحدًا.. لم أجد!!!!!!

تركت الأولى وأخذت الطبق ثم عدت إلى المكتب مرة أخرى جلست ووضعته أمامي وأنا أحدق فيه بذهول، هناك شيء ينجذب بصري إليه لكنني لا أعرفه، ماذا لو مسحت الغبار عنه، أظنه سيبدو جميلًا، بدأت أمحو التراب عنه، حتى رأيت فجأة دخانًا يخرج من منتصفه، فالتصقت بالكرسي في الحائط وأنا أحدق في الدخان بذهول، قدماي تتصارعان تخبطًا وقلبي يقفز من صدري من شدة الرعب والهلع، سرعان ما تحول الدخان إلى مارد لا يتعدى طوله مقدار قدمي، شعره أسود مسترسل خلف ظهره وعيناه كنجمتين ضالتين ظهرتا في ليلة حالكة السواد، أنفه ملتصق في أذنه اليسري وشفتاه كورقتي تفاح ذابلتين، أيقنت حينها أني هالك لا محالة، حتى سمعت صوتًا يناديني باسمي:

- يوسف.

بدا مختلفًا تمامًا عن الهيئة السالفة، عذب ورقراق يشبه كروانًا يناجي حبيبته، اطمأنَّ قلبي لوهلة وأنصتُّ إليه حتى ردَّدَ قائلًا:

- انظر إلى الطبق وأخبرني ماذا ترى؟..

سرعان ما وجهت بصري داخله بعد أن تخلى هو عنه وأصبح يقف فوق المكتب، رأيت أربع نسوة ما رأت عيني مثلهن قط، بدأت أتفحص كل واحدة منهن وأنا أردد في نفسي:

- لله در الاعتدال في عليائه، كزيتونة لا شرقية ولا غربية جمالًا على جمال.

ما إن فرغت من التحديق فيهن والتغزل بهن ووصف أشكالهن حتى سألني:

- هل يوجد شيء آخر في الطبق؟

قلت في نفسي سؤاله غريب حقًا، لا أرى فيه سوى الملكات الأربع اللائي خطفن قلبي وعينيَّ بجمالهن منذ الوهلة الأولى، لكنه سرعان ما أخرجني من شرودي عندما أضاف:

- أبعد بصرك عن النساء وتفحص الطبق جيدًا، هناك أشياء أخرى يجب رؤيتها.

عم يتحدث؟!!! لا أرى غيرهن ولا أريد أن أبصر شيئًا عداهنَّ، لا أودُّ أن أشيح ببصري بعيدًا عنهن، لذا ضربت بكلماته عرض الحائط وثبتُّ بصري عليهنَّ جيدًا حتى أني بدأت أتفحص مفاتنهن، وفجأة سمعته يقول بنبرة تحمل التوبيخ والتهديد:

- أيها الأحمق، اتركهن في حالهن وابحث عن الأشياء الأخرى وإلا

حولتهن إلى أسود مفترسة وجعلتُكَ طعامًا لهم.

ارتعدت أوصالي عقب تهديده لي، وعاودني الخوف سريعًا وبدأ يشدني من قلبي ويخرج لسانه استهزاءً بي، مما جعلني أعرض عن رؤيتهن وأتجول ببصري داخل الطبق، اتسعت مقلتاي في ذهول عندما رأيت رجلًا مديد القامة، قوي البنيان يحمل في يده عصبة من المفاتيح وأمامه مئات القلوب، راقبته في صمت وهو يسير بخطوات بطيئة وصولًا إلى ما وُضع أمامه، أخذ يخرج مفتاحًا تلو الآخر، يفتح قلبًا ثم يعقب بآخر، قارنت بين عصبة مفاتيحه وبين القلوب، فأيقنتُ أن العدد يبدو واحدًا، علمت حينها أن لكل قلب مفتاح، حاولت أن أعرف من هذا الرجل، لكن عقلي توقف حين لاحظت بعوضة تحلق فوق رأسه، تقترب من أذنه ثم تلدغه فينزعج منها ويحك موضع لدغتها بيده، ظلت الحشرة تمتص دماءه وهو لازال يتألم حتى تركته واتجهت نحو الحور الأربع، هنا انتفض قلبي خيفة عليهن، فالواحدة منهن لن تستطيع تحمل لدغة واحدة، كما أن جسدهن يفوق بياض الثلج، وأظنه يخلو من العظام، كنت أود أن أقتحم سطح الطبق وأقضي عليها، وهممت لفعل ذلك، لكن المارد ناداني متسائلًا عما أراه داخل الطبق، وصفت له الرجل وما يملكه وكذلك القلوب ولم يفتني البعوضة اللعينة، ثم وجدته يقول لي:

- يستطيع هذا الرجل الخارق اختراق أي جسد وفتح قلب صاحبه ليعرف ما بداخله، والأربع نسوة يمكنهُنَّ أن يكنَّ زوجاتك إن طلقت زوجتك، أما هذه البعوضة، فهي الأمنية الثالثة، تستطيع أن تتمثل بها وتمتص دم من ظَلمك، والآن لك أن تختار أمنية من الثلاث، ومسموح لك استبدالها بأخرى، لكن الأخيرة ستعود إلى حيث أتت.

أخذت أحك جانب رأسي في تفكير، استبعدت فكرة أن أكون الرجل

وكذلك البعوضة، لكن إن كنت سأتزوّج النسوة الأربع، فسأحتاج للرجل لأعرف ما في داخل قلوبهن! لكن كيف وهو يقول أبدِل الأولى بالثانية، أما عن زوجتي فلا ضير في طلاقها، لقد حسمت الأمر منذ قليل واتخذت قرارًا، لكن ماذا لو قتلتها دون أن أمسّها، جالت في رأسي فكرة لا بأس بها، وجدت نفسي أقول له:

- الأمنية الأولى سأكون البعوضة.

لم أرَ ابتسامته منذ ظهوره إلا في هذه اللحظة، ثم صفق بيديه فلم أشعر بجسدي إلا وأنا أحلق في الهواء، توجهت مسرعًا نحو المرآة حدقت فيها، فرأيت نفسي في جسد البعوضة، ابتسمت في نفسي وحلقت بجناحيَّ حتى تجاوزت الغرفة مرورًا بالردهة ثم وصولًا إلى شقتي، وجدت الباب مغلقًا، تجاوزت البناية وتوجهت إلى الخلف، ثم دلفت داخل الشقة من خلال النافذة الخلفية، بحثت عن زوجتي فوجدتها كما تركتها، جالسة على الأرضية مسندة رأسها إلى الجدار وقدميها ممددتين أمامها، تسيل دموعها على وجنتيها بغزارة، لم أنظر لها بعين الرضى، بل حدقتها بنظرات كرهٍ وانتقام، تفحصت جسدها وابتسمت عندما رأيت يديها وكتفيها مكشوفين وكذلك ساقيها، حيث كانت ترتدي عباءة تصل إلى تحت الركبة بشبر دون الأكمام، اقتربت منها وبدأت ألدغها وأمتص دماءها، لكن الغريب في الأمر أنها لم تحرك ساكنًا، ظلت كما هي، يداها بجوارها وبحورًا من الدموع تشق الطريق إلى خديها، لا تبالي لما أفعله، لقد وضعت بصمتي في كل شبر عارٍ في جسدها، ثم حلقت في الهواء حتى وصلت إلى أنفها، وقفت فوق أرنبته وتذكرت قصة البعوضة التي ذلت رجلًا وطرحتهُ أرضًا حتى قضت عليه، حينها شعرت بالعظمة وقلت في نفسي:

- سأقضي عليها بهذه الطريقة ثم أعود لأترك البعوضة وأتزوج الحسناوات الأربع.

بدأت أسير نحو فوهة أنفها اليمنى حتى دلفت داخلها وبدأت أصعد إلى أعلى، تعرقلت كثيرًا، وكدت أن أسجن داخل شعيرات أنفها التي رأيتها كخيوط عنكبوت نسجت نفسها، والتفت حولي لتمنع صعودي إلى جمجمتها، لكني كافحت ونزفت الدم الذي شربته من زوجتي عن طريق العرق، وتسلقت عصبها مرورًا بعروق جبينها حتى مررت من شريان مركز الشم وصولًا إلى المخ، تنفست الصعداء، وقبل أن ألدغها سمعت أصواتًا غريبة وشظايا نيران تتطاير داخل تجويف مخها، هذا الأمر الذي حثني على التراجع خطوتين لأصبح داخل الشريان مرة أخرى وأخرج رأسي منه في محاولة للتلصص كي أعرف ما يدور بداخل رأسها، صُدمت حينما رأيت بداخلها ساحة حرب، كانت معركة دامية، شاهدت خلالها أبنائي وهم يتشاجرون وكذلك رأيت أواني المطبخ تتصارع محدثة صوتًا كصوت الرعد، ينتج عن صراعهما شرر متوهج، يطير في أرجاء جمجمتها وحين يسقط يحرق موضعه، رأيت الجزار يذبح ضحيته أسفل مخها ويترك دمها يمتزج بخلاياها، شاهدت محصل الكهرباء وهو يصرخ في وجهها لتأخرنا عن دفع الفاتورة بسبب غلائها، وقع بصري على مدرسين الأولاد الذين يقفون صفًا واحدًا ينتظرون أجورهم وكل واحد منهم ينفخ في ضيقٍ وكأنه جندي مغلوب على أمره يؤدي الخدمة العسكرية قسرًا .

علاقة غريبة مريضة مشوهة، في سباق محموم للفتك بشيء ما في روحها، وكأنها حقل تجارب خصب ستُلقى نتائجه في سلة المهملات، تعجبت من صبرها وقوة تحملها، لقد أطفأت أعواد الثقاب في عقلها وكنت

أتمتع برائحة الشواء بينما هي كانت تُمنِّي نفسها أن تمطر سماء قلبها الليلة أو بعد غد، تمنيت لو أنزع أجنحتي وأستبدلهما بخطافين حادين لأجلب كل ما يؤذيها وأركله خارج رأسها، فكرت أن أقف في المنتصف وأستقبل الأعيرة النارية كلها في صدري كي أرقص معها في حفلة الشواء حتى لا أتركها وحيدة، تقدمت خطوتين بعد أن تناولت قطرتيّ شجاعة اكتسبتهما من دمها الذي تذوقته، لكن سرعان ما تراجعت وفضلت أن أبحث عنها حتى عثرت عليها تجلس أسفل العقل وهى تحتضن رأسها بين يديها تضغط عليها بقوة كي تقاوم الصداع الذي نتج عن كل ما رأيت، بحثت عني وسط هذه المعمعة فلم أجدني، ازدادت المعركة نشوبًا وانعدمتْ معها قدرتها على التحمل حتى تحولت الشظايا إلى كتل نارية تحرق خلاياها، اقتربت كتلة من الشريان الذي أقف فيه تبعتها أخرى، الأولى أحرقت فوهة الشريان والثانية أصابت صدري، اختل توازني ونشبت النار في جسدي، لم أستطع التحمل فانزلقت من الشريان دون إرادة مني، كادت النار أن تأكلني فأنقذني دمها الذي أخمدها، ولازلت أنزلق حتى سقطت من منخرها الأيمن فوق عباءتها، ضاقت أنفاسي وكادت روحي أن تخرج مني، بينما جسد البعوضة قد انتهى، صرخت بأعلى صوتي:

- أيها المارد أنقذني.

بعد وهلة وجدت نفسي أمامه في غرفة أبي والطبق المسحور لازال موضوعًا فوق المكتب، بينما أنا أترنّح بين الحلم واليقظة، لا أصدق أنني نجوت من الموت سمعت المارد يقول بحزن:

- لو تأخرت لوهلة لقضي الأمر وأصبحت الآن جثة هامدة فوق كرسيك هذا.

حمدت الله وشكرته وأخذت شهيقًا سرعان ما زفرته وقلت للمارد:

- أريد الرجل الخارق..

ابتسم مرة أخرى، لكن هذه المرة لاحظت أن أنفه قد اعتدلت وأصبحت كأنف طفل صغير، وكذلك شفتاه أصبحتا أكثر مرونة، لا أعرف لمَ!! لكن لا يهم أريد الرجل، سألني المارد بدهشة:

- أتريد الرجل وتترك أربعة من النسوة اللاتي لا يضاهي جمالهن نساء العالم!

فحدقته بنظرات حزن وأسى دون حديث، لاحظ أني لم ألتفت للنساء هذه المرة فصك شدقيه وصفق بيديه، أحسست بروحي قد فارقت جسدي، وسكنت جسد الرجل الخارق، بدأت أسير بجسده وبيدي مفتاح واحد، انتزعته من عصبته وتركت البقية، سرت به حتى وصلت إلى المكان الذي كانت تجلس فيه، لم أجدها، بحثت عنها في أرجاء الشقة حتى عثرت عليها داخل المطبخ تعد الطعام رغم دموعها التي لم تجف بعد، اقتربت منها، انحنيت بقامتي وقبلت قدمها اليسرى ثم أخرجتُ لساني ومررته بين أظافرها، بحثًا عن مكان أخترق جسدها منه حتى رأيت ظفر إصبعها الأكبر يرتفع، فتح لي بابًا أنفذ منه، دلفت داخله وبدأت أعبر ساقها إلى أعلى، لاحظت تجمع كتل من الدم الزرقاء في شراييها، أيقنت أنها بسبب لدغات البعوضة، بدأت أبتلعها، مشطت الساق اليسرى وابتعلت كل ما فيها من أذى، وقفت عند الركبة وأخذني التفكير في جولة، هل أكمل طريقي وصولًا إلى القلب أم أعود وأخترق ساقها اليمنى لأمحو أثر ما خلفته ورائي من ألم!.

طال التفكير حتى أقنعت نفسي بالهبوط مرة أخرى، عدت إلى حيث جئت فلما وصلت إلى قدمها اليمنى، قبلتها ثم اخترقت الجسد عن طريقها، ومحوت كُرات الدم الفاسدة التي قابلتني في طريقي حتى وصلت إلى كتفها الأيمن، عالجت ما أفسدته فيه ومررت إلى الجانب الأيسر خلف رقبتها،

مسحته جيدًا وبدأت أنزل إلى أسفل، وقفت عند القلب وضعت المفتاح في دائرة ظهرت لي فى أعلاه وفتحته، كان كغرفة كبيرة بها نافذة واحدة، وقفت على حافّتها وبدأت أنظر للداخل.... أخيرًا وجدتني هنا، أقف في منتصف قلبها وبيدي درع أردع به تلك الكتل النارية التي تخرج من شرايين قلبها متجهة نحوي، كأنها شعب من الخفافيش في مدينة خالية من الغذاء إلا من دمي، بدأت أنظر إلى نفسي في ذهول وأنا أقاوم تلك الضربات بشراسة، غير مبالٍ لما يحدث في قلبها من تصدُّع وحروق نتاج سقوط النار داخله، تعبت روحي وهي على الحافة وكَلَّ جسدي من المقاومة، سألت نفسي سؤالًا:

- ماذا لو تخليت عن الدرع؟...

- سأموت.

خرجت هذه الإجابة بتلقائية ثم أضفت آخرًا:

- وإن لم أتوقف؟

- ستموت هي... إذن لابد أن أكون درعًا يحميها، رجلًا لها لا عليها، الآن عرفت قيمتها وتضحياتها وسبب تصرفاتها، أنا من لم أعطِ لها فرصة لتخرج ما بداخلها من هموم، لم أشاركها مشاكلها، لم أَحتويها، لم أتحمل عنها عبْأَ الأولاد، ولم أسألها يومًا عن سر ذُبولها، كنت أظن أن المسؤولية فقط هي توفير المال... لكنني كنت موهومًا.

قلت هذا لنفسي وصرخت بأعلى صوتي مستغيثًا بالمارد، هذه المرة كنت أشعر به وهو يحملني فوق جناحيه ويعيدني إلى غرفة أبي، عندما عدت إلى جسدي، نهضت عن المقعد وتحركت نحو الخارج فسمعت المارد يقول:

- انتظر... كان لك أمنيتان؛ الآن سأهبك الثالثة هدية مني.

ثم أضاف :

- لك أن تترك واحدة منهن إن شئت وتُبقي على زوجتك.

ابتسمتُ ابتسامة عريضة عقب انتهاء حديثه ثم قلت له:

- هنَّ هديتي لك وكذلك الغرفة والشقة، أما أنا فلديَّ زوجة تعادل نساء العالَمَيْنِ وسأعمل جاهدًا على أن نكون من أهل الجنة، فلا أريد فراقها بعد اليوم، وداعًا صديقي العزيز..

ودعته وهرولت نحو شقتي، وجدتها على حالها في المطبخ، مشيت على أطراف أصابعي ثم احتضنتها من الخلف وهمست في أذنها قائلًا بحب:

- أعشقك، سامحيني .

أدارت لي وجهها وانهمرت في البكاء، فاحتضنتها بقوة بعد أن طبعت قبلة على جبينها وقلت:

- والله لن أؤذيكِ مرة أخرى لا جسدًا ولا نَفْسًا.

أجهشت في البكاء وقالت بصوت مبحوح:

- بل أنا من أعتذر منك، أنا من دفعتك لهذا.....

وضعت يدي على فمها كي لا تكمل حديثها، ولأول مرة تخليت عن جمودي لتسقط دموعي بغزارة دون خجل، فاحتضنتني بقوة كأم تحتضن ابنها العليل لتخفف عنه ألامه.....

لا أعلم هل صادفتم في حياتكم ذات مرة ؟ ..

تلك الأرواح الملائكية ..

أشخاصًا غاية في الندرة ..

تتجنى عليهم ..

تخطئ في حقهم ..

تظلمهم ..

تقصر في واجباتك معهم ..

لكنهم يسامحونك عن طيب خاطر دون أن تطلب منهم ذلك ..

ثم يبحثون في أنفسهم لك عن أعذار وهمية لكيلا تسقط من أعينهم ولا ينضب نصيبك من معين الحب في قلوبهم؛ ذاك الذي يتفجر من أعماق قلوبهم.

والأغرب من ذلك كله :

أنهم في الأخير يأتون إليك ويعتذرون منك أنهم سببوا لك بعض الضيق..

أكاد أجزم أن معظم النساء أرواحهن ملائكية ..

ما رأيكم أن تفكروا في الأمر، وكل رجل منكم يبحث في نفسه عن ما يرضي زوجته ..

ماذا لو احتوى كل رجل زوجته وعرف ما تفكر فيه وتجنب أذيتها، هل سترتفع حالات الطلاق؟ وتستمر مشاكل الأزواج ويدفع ثمنها الأولاد والبنات ؟....

تمت بحمد الله.

مات ليلة أمس

مجدي مخروس

ما أن ولجَ بقدميه داخل شقته، بعد منتصف الليل على غير عادته، وتعلّقت عيناه بعيني زوجته التي تنتظر عودته - وهى في كامل زينتها حيث ارتدت قميص النوم الأحمر الناري الذي يعشقه زوجها - حتى هربَ بعينيه بعيدًا عن عينيها في توتر، وهو يهمهم بحروف متعثرةٍ، وقد أولاها ظهره :

- مساء الخير.

صمتت الزوجة للحظات – مرت عليه كالدهر – وهى تتطلع إليه من الخلف، وردت قائلةً في لهجة ، بدت غريبة في الوقع على أذنيه :

- مساء النور.

كم تمنى في تلك اللحظة أن يسرع الخُطى نحو حجرته؛ لتضمه حوائطها ولو مؤقتًا بعيدًا عن عينيها اللتين لا يستطيع مواجهتهما، لكن عيناه وقعتا على مائدة الطعام التي حفلت بكل ما تشتهيه نفسه من أطعمه ما زال بخارها يتصاعد، ويعبق أجواء الشقة .. استدار في بطء، وهو يخلع سترته، ويعلقها على مسند مقعده، قبل أن يلقي بجسده فوقه، وهتف قائلًا في همس بصوت حاول قدر استطاعته أن يخرج طبيعيًا:

- كان يومًا شاقًا.

هزّت الزوجة رأسها، وهى ما زالت واقفة مكانها، وقد عقدت ذراعيها

أمام صدرها، تتطلع إليه في صمتٍ مميت، ثم تحركت في جمود، وسحبت شالًا لها مِن فوق أحد المقاعد، أخفتْ تحته قميصها الأحمر الذي فقدَ بريقه، ثم ألقت بجسدها على مقعدها المقابل لمقعده..

ومن ثمّ مدت يدها، وتناولت ملعقتها، ووجَّهتها نحو طبق الأرز، في اللحظة التي كانت فيها أعماقها تصرخ بضراوة :

- اليوم فعلها وخانني..

نعم.. نعم خانني ..

أنا على يقين ..

أرى صورتها في عينيه ..

أشمُ رائحتها في صوته ..

أنا أعرفُ نفسي جيدًا ..

أثقُ في فراستي ..

لستُ بالمرأة التي تحتاجُ لأن ترى شعرةً غريبة على كتفِ زوجِها، أو تشم بين طيات ملابسه رائحة عطرٍ لامرأة أخرى .

ارتعشت الملعقة بين أصابعه، وهو يرمقها بطرف عينيه، فتساقطت قطرات من المرق على بنطاله، فتأوه في صمت، وهو يلعن في سرِّه صديقه، الذي زيّن له طريق الخيانة..

أخذ بيده كطفل تائه بعد أن فقدَ أمه، وألقاه في بحار من الرذيلة العطنة ..

أي شيطانٍ هذا الذي غرَّر به، ودفعه لطريق الخطيئة؟!

ماذا يقول لها الآن؟!

هل يعترف لها؟

هل يرمي برأسه فوق صدرها الذي طالما تحمَّله في كل ضائقةٍ ألمّت به؟

هل يطلب منها الصفح والغفران؟

ولكن ..

هل من الممكن أن تسامحه، وتغفر له خطيئته الأولى والأخيرة في حقها؟

ما لها تنظر لي هكذا بطرف عينيها؟

أشعرُ، وكأنَّها أحست.

ابتسامة مريرة علت شفتيها، وهي تطالعه يقطع قطعة من الخبز، ويضعها في طبق المرق بدلًا من طبق الخضار، في حين كانت أعماقها تزأر بداخلها كأسدٍ جريح:

- ما الذي كان ينقصه ليفعل ما فعل؟

أبعد ربع قرن من الزواج يخونني؟ !

تحمّلت معه الكثير والكثير حتى وصل لما هو فيه ..

تنازلت -من أجله-عن سماع أجمل كلمة تتمنى سماعها كل امرأة حين أخبرنا الأطباء

بأمر عقمه ..

هل هذا جزاء الإحسان؟

هل هذا ما أمرنا به الدين حين قال "وعاشروهنّ بالمعروف"؟

هل .. هل ..

رباه !!

رأسي يكاد ينفجر ..

لا أطيق النظر لوجهه ..

لا أريد أن أطالع طابع الحسن أسفل ذقنه، الذي طالما عشقتُ النظر إليه، وتحسستُه بأناملي مداعبةً إياه و ..

فاقت من شرودها، وهي تلمحه ينهض قائلًا بصوت متحشرج :

- طعامك شهيٌّ كعادتك.. ولكني في حاجة لبعض الراحة .

استدار متجهًا نحو حجرته في خطواتٍ متثاقلة، وقبل أن يبلغَ بابها التفت..

تطلع إليها في نظرة طويلة ..

هتفت عيناه في رجاء :

- سامحيني يا رفيقة الدرب.

وانحدرت من عينيه دمعة وحيدة ساخنة غابت بين تجاعيد وجهه، وهو يستدير ليواصل طريقه نحو حجرته، التي ترك بابها مفتوحًا..

تحركت الزوجة من مكانها، بخطوات جامدة نحو باب حجرته، وأغلقت بابها عليه، ثم اتجهت نحو الأريكة المتواجدة بصالة شقتها، وفردت جسدها عليها..

وضعت ذراعيها تحت رأسِها ..

عيناها معلقتان بالسقف ..

أعماقها تصرخ وتصرخ بأسئلة عديدة، وما من جواب ..

فتحت عينيها، وتطلعت لساعة الحائط التي تعدت العاشرة صباحًا..

تطلعت لباب حجرته ..

ما زال مغلقًا كما هو ..

نهضت في إرهاق من فوق أريكتها، واتجهت بنفس خطواتها الجامدة نحو باب الحجرة ودفعته ..

ما زال في فراشه يغط في نوم عميق ..

اقتربت منه لتوقظه ..

ما هذا؟!

أنفاسه تبدو ساكنة ..

تحسست نبض يده ..

لا أثر للحياة !

هتفت بأعماقها في جمود :

- مات.

ألقت عليه نظرةً أخيرة خالية تمامًا من أيةِ مشاعرَ، ثم عادت أدراجها بنفس خطواتها الجامدة للصالة ، رفعت سماعة الهاتف، وهتفت عبرَه في جمودٍ :

- أبي.. لقد مات محمود .. مات ليلة أمس .

تمت بحمد الله.

عنقاء بلا رماد

هدير السيد

المقدمة

توارت بأعين دامعة خلف إحدى أشجار الحي الراقي كما تعرفه، تتأمل الخراب الذي حل بتلك الغرفة الخلفية اللعينة التي طالما كرهتها، بينما تتعالى ألسنة اللهب مشكّلة سحابة دخانية سوداء فوق الرؤوس، رجال الإطفاء يحاولون إخماد الحَريق باستماتة، بينما ينتظر رجال الإسعاف بصبر إنهاء مهمتهم، لا تعلم كم من الوقت مرَّ عليها وهي على حالتها، تتلفت حولها خشية أن يعي وجودها أحد، ارتجف جسدها، لكنها تحاملت عليه، أخذت تطالع بعينيها الجثة الأولى التي أخرجها رجال الإطفاء، لمحتْ هيئته الضخمة وطوله المديد اللَذَيْن أكدا لها أن ما كانت تظنه دربًا من الخيال هو حقيقة مؤكدة، ابتسامة شاحبة شقت ملامحها لوهلة إلا أنها ماتت على شفتيها عندما خرجت الجثة الثانية! تأملتها بأعين لا حياة فيها وعقلها يستوعب أن تلك الجثة الأخيرة لها.....

(خلف الأبواب المغلقة الكثير من الحكايا، بعضها مكرر وبعضها نظنه دربًا من خيال، كل ابن آدم خطَاء، فمن منا سيلحق بركب التوابين!!)

أغلق باب سيارته خلفه بانزعاج من ذلك السائق الغبي الذي يصر على قيادة سيارة سيده، هكذا هو جده على الدوام يفرض سيطرته على كل الأمور

المحيطة به كما الأشخاص؛ زفر بضيق وهو يرمق الأخر بنظرة اعتذار لما سيلاقيه حتمًا من عقاب بسبب فعلته لكنه يحتاج للبقاء بعيدًا عن أجواء القصر الخانقة، دومًا ما كان قصر جده الذي قضى فيه طفولته حملًا ثقيلًا يجثم فوق أنفاسه إلا أنه فور وفاة والده، قرر تركه خلفه والبقاء بجوار والدته التي لم تتقبل تحكمات والد زوجها الراحل في حياتها وكذلك أبنائها، هو فقط من كان أجبن من مخالفة أوامر جده الصارمة.

"عمار أخاه الأصغر وسبب عودته القسرية"

ترقرقت الدموع في عينيه وهو يتذكر مشهدًا لن ينساه ما حييَ، جثة أخيه المتفحمة راقدًا أمامه بلا حراك على إحدى طاولات المشرحة، اعتصرت قبضتاه مقود السيارة بقهر على فقيده، لكنه توقف فجأة مجفلًا عندما شعر بذلك النصل البارد الذي لامس عنقه.

- أسرع، ولا تلتفت خلفك، لو أصدرت صوتًا فقط سأنحر عنقك ولن أبالي صدقني.

اتسعت عيناه بصدمة تداركها على الفور وهو يقول بثبات بينما يحاول النظر لمهاجمته في مرآة السيارة الجانبية

- من أنتِ وماذا تريدين؟

- ششش تابع طريقك نحو الصحراء أنا فقط أريد محادثتك لا أكثر فلا تدفعني لتصرف أرعن قد يودي بحياة كلينا.

لم يستطع التعرف على مهاجمته بسبب الوشاح الذي حجب وجهها إلا من عينيها، كما أن لكنتها الغريبة عن لكنة سكان بلدته لم تفته بالطبع.

هو لا يخافها بكل تأكيد، لكنه قرر الانصياع لرغبتها عله يفهم سبب ما

تفعله رغم الخوف البيّن في نبرة صوتها؛ كان الصمت رفيق طريقهما الوحيد إلا من نظرات خاطفة اختلسها للمرآة من وقت لآخر، توقف أخيرًا ليقول بنفاذ صبر...

- هل ستجيبينني الآن؟

لم تنطق، لكنها أزاحت سكينها عن عنقه وقفزت برشاقة على المقعد المجاور له، تأمل عينيها الواسعتين مختلفتي اللون بتدقيق، وهو يقسم بداخله أنه قد رأى هاتين العينين من قبل، أغمضت عينيها لوهلة وأزاحت طرف الوشاح بيدها الحرة عن وجهها بينما لازال سكينها مصوبًا نحوه، اتسعت عيناه بصدمة، إنها هي؟...

لكن كيف ؟

ظل يحدق بها وعيناه تتوحشان قبل أن يضرب يدها الممسكة بالسكين لتسقط أسفل مقعدها، فارتجفت بفعل الصدمة ومالت بجسدها تبحث عنها لكن جسدها قد تخشب عندما سمعت سحب زناد مسدسه، فرفعت عينيها نحوه وهي لا تزال على وضع جسدها المائل دون حراك بينما أغلق السيارة أوتوماتيكيًا ولازال سلاحه مصوبًا نحوها ثم هدر بها بصوت قوي... ..

- اعتدلي.

أصبحت كالفأر الذي سقط بكامل إرادته في المصيدة لم تجد بدًا من الاعتدال ومواجهته ..

- كم يشبه أخاه!

ارتجفت رغمًا عنها عندما قاطع تأملها المرتعب به وهو يقول:

- أنتِ رؤى أنا أعرفك جيدًا، لكن كيف؟ أنا بنفسي دفنت جثتك منذ أيام؟

احتضنت نفسها بخوف وهي تحرك رأسها بنفي سريع ودموعها تلمع في مقلتيها بينما هو يتابع بغضب أعمى وهو يفتح باب السيارة:

- هيا للخارج.

أخيرًا قد وجدت صوتها، فتشبثت بمقبض الباب لا إراديًا، وهي تقول بخوف بينما تلتفت بعينيها في المكان حولهما... ..

- لا .... لا أرجوك قد تكون مراقبًا.

- ماذا؟

كان ذلك هو صوته الساخر قبل أن تستوقفه هاتفة بصدق استشعره.

- أنا لا أعلم فيما فكرت أنت، لكن اقسم لك أني لا دخل لي بذاك الحادث .

تأملها بشك بينما تابعت قائلة:

- لو كان لي يد في ذلك الحادث هل كنت لآتيك بنفسي وأحاول الحديث معك؟

نظر لها باستهانة من أعلى رأسها لأخمص قدميها .

- لا أعلم فمن مثلك قد تفعل أي شيء لأجل المال.

لم تجبه، لكنها وقفت نصف وقفة وهي تميل بجسدها على المقعد الخلفي الذي باتت فيه ليلتها السابقة متناولة حقيبة جلدية سوداء لاحظها للمرة الأولى، كان يطالعها بتساؤل سرعان ما أجابت عنه وهي تعود لجلستها السابقة فاتحة له الحقيبة بثبات ظاهري ليطالع أولها إلى آخرها.. راح عقله يدور في حلقات مفرغة متسائلًا:

- إذا لم يكن المال هدفها فلماذا خاطرت بالحديث معه؟

قاطع شروده صوتها الخافت ...

- لو كنت أريد المال لما أتيتك.
- إذاً ماذا تريدين؟

نكست رأسها والدموع تتجمع في مقلتيها ثم همست برجاء ..

- أريد هويتي؟

ظهر التساؤل على ملامحه الحائرة فاستطردت ....

- أنا كالعنقاء التي تنتظر البعث من جديد ولكن أين الرماد؟

لم يفهم معنى كلماتها رغم سنون عمره التي تجاوزت الثلاثين لذا سألها بدون تفكير ...

- ماذا تعنين؟

مدت يدها في الحقيبة لتخرج له هوية تحمل صورتها، لكن باسم مغاير لما رآه على عقد الزواج الذي حضره بنفسه، ثم قالت بحنان لم يغفله ...

- تلك كانت إحدى خادمات القصر، فتاة في مثل عمري وكذلك هيأتي الظاهرية، وإذا أردت أن تعرف البقية فرجاءً اسمح لي بذلك فوزرها يثقل عاتقي.

لم يشعر بنفسه أمام كلماتها ونبرتها تلك إلا وهو يومئ برأسه إيجابًا ويعيد سلاحه لموضعه، ابتسمت شاكرة قبل أن تسرح بمقلتيها في البعيد وتبدأ حديثها:

- أنا فتاة عادية مات والدها مؤخرًا بعد أن أنهت عامها الأخير في الجامعة، كالكثيرات من بنات جيلي البائسات لم أجد عملًا لألتحق به فبقيت في المنزل وحيدة أصرف من معاش والدي البسيط.

ثم أردفت:

- كانت لي جارة في نفس عمري سافرت منذ سنتين برفقة زوجها الذي يعمل في إحدى الدول العربية، جميع فتيات الحي الذي أسكن به كُنّ يحسدنها على ما آلت إليه أمورها، لأفاجأ بها تتصل بي لمواساتي على فقيدي وتدعوني للعمل برفقتها في الخارج.

كان يتابع حديثها بصمت مطبق بينما عيناه تتفحصانها بتدقيق عله يتأكد من صدق حديثها والعجيب أنه قد فعل، لكن استوقفه سؤال جعله موضع الطرح قائلًا:

- لكن الزيارة لأقارب الدرجة الأولى فكيف؟

شقت ملامحها ابتسامة ساخرة وهي تجيبه بخفوت ....

- لقد ذهبت بدعوة من رب العمل نفسه وهو يحمل جنسية البلد لذا ...

وتركت جملتها معلقة ليومئ بتفهم وهو يقول بفضول لم يحاول إخفاءه:

- وماذا حدث؟

- بعثت لي شابًا ساعدني في إنهاء إجراءات السفر، حتى تذكرة سفري لم ينسَها، بالطبع لم تفتني نظراته، لكني توقعت أنها نظرات إعجاب شاب بفتاة، ثم سافرت ليستقبلني رب عملها كما أخبرتني سابقًا لإنهاء بعض المعاملات الخاصة بالمطار، طلبت منه مهاتفتها وفعل حتى أطمئن، ثم اصطحبني لمنزل كبير لأقابلها، لكنني فوجئت بها تخبرني بلا مبالاة بأن من تزوجها كان عضوًا في جماعة تعمل في الدعارة الدولية، وبمجرد وصولهما طلقها وتركها في عهدتهم، أخبرتني عن الرفاهية التي تعيش بها ورغبتها في انضمامي لها.

اتسعت عيناه بصدمة، لكنها لم تنتبه لصدمته وتابعت .....

- بالطبع رفضت وقررت الانصراف واللجوء لسفارة بلدي، إلا أنني فوجئت به يلوح أمامي بثبات بورقة كانت صك عبوديتي الذي كنت قد وضعت عليه إمضائي بحماس، كنت أظنه مجرد إجراء للسفر، لكنه نص على أن ذلك البغيض هو كفيلي ولا يحق لي التصرف دون الرجوع إليه، بكيت وتوسلت وامتنعت عن الطعام لكن بلا طائل.. حتى أتى يوم وجدت ذلك المقيت يستدعيني، لم يكن الرفض رفاهية لمثلي فساقني أحد رجاله كالشاه نحو بهو محبسي الكبير لأجد شابًا يقاربك شبهًا ينتظرني بصحبته.

قبض على كفها المتوسد حجرها بانفعال لم يقصده قائلًا بغير تصديق :

- أتعنين أن أخي كان يتردد على أماكن كتلك؟

إيماءة تبعتها بابتسامة ساخرة وهي تستحضر ذكرى أول لقاء جمعها بعمار .....

دلفت للغرفة بعد ما دفعت ذلك البغيض بنية الاعتراض تمامًا ككل مرة.. طالعت نخاسها يجلس بأريحية وأمامه شاب في نهاية العشرينيات على ما يبدو، لكن علامات البذخ والثراء ظاهرة عليه بلا التباس، احتضنت نفسها لا إراديًا علّها تواري تلك القشعريرة التي دبت في جسدها، كان يتأملها بغرور فطري وأريحية مغيظة قبل أن يشير لنخاسها بالانسحاب، وكذلك فعل !

انكمشت على نفسها متراجعة حتى التصقت بباب الغرفة الموصد خلفها بينما هب من مقعده وبدأ يقترب منها كفهد يهم بالانقضاض على فريسته،

ابتلعت ريقها بخوف وانسابت دموعها على وجهها لتقول بصوت متحشرج من أثر البكاء :

- أ..... أرجوك سيدي أعدني لبلدي، اعتبرني أختك هل تقبل أن يمسها رجل لا تحل له ؟ "

رفع إحدى حاجبيه من جرأتها ثم قرر التسلية قليلًا فقال بصوت خافت مميلًا بجسده عليها كأنه يخبرها سرًا .....

- لا أخت لي.

- أرجوك.

رجاؤها الباكي وذراعاها الملتفان حول جسدها بحماية جعلاه يسألها بشك ....

- هل تعنين أنكِ بتول؟

أومأت برأسها بسرعة رغم حمرة الخجل التي لم تخطئها عيناه الخبيرتان ليتفحصها بصمت لدقائق قبل أن يقول فجأة ...

- أتقبلين الزواج مني؟

فغرت فاها ببلاهة متأملة ملامحه الصارمة القريبة جدًا منها لتقول بارتباك:

- م .....ماذا ؟

التفت إليها وهو يشير بيده قائلًا بسيطرة ذكورية :

- أنا ألقي عرضي مرة واحدة إمَا قبولًا و إما ...

ثم التف ليواجهها وهو يقول مشيرًا بسبابته نحو باب الغرفة خلفها.....

- وإما أتركك له، القرار قرارك وأمامك دقيقة واحدة للرد.

هل يمزح ؟ أيخيرها بين الزواج من فارس خرج من أحد كتب الأساطير وبين حياة الظلام تلك؟

أومأت برأسها إيجابًا دون رد، غير واعية لتلك النظرة الظافرة التي ارتسمت على محياه، متناسية تمامًا سؤالًا كان يجب أن تطرحه على نفسها ما الذي يدفع شابًا كامل المواصفات كذاك لعلاقات مشبوهة كتلك !!!!

قاطع ذكرياتها صوته وهو يقول بفخر لم تخطئه أذنيها.....

- إذًا لقد أنقذك أخي من نهاية مأساوية مؤكدة.

ثم شرد وهو يتذكر كلمات أخيه عنها يوم عقد قرانهما الذي لم يحضره سواه ومدير أعماله وصديقين له كشهود، يومها سأله بجدية إن كانت تلك إحدى نوبات تمرده على جده، لكنه نفى ذلك بصرامة مؤكدًا له أنه يود تأسيس أسرة وحياة مستقرة كما أن من هم في مثل عمره لهم الكثير من الأبناء، لم يجد وقتها بدًا من دعم أخيه الذي يعلم جديًا ما قد عاناه مع رجل بجلافة جده ومشاعره الثلجية التي طالما مقتها....

قاطعته بابتسامة ساخرة:

- لا تأمَل كثيرًا عزيزي فكم من جلّاد رسم دور الضحية ببراعة.

عقد بين حاجبيه بشك وهو يقول ..

- ماذا تعنين؟

- ستعرف.

ثم استطردت ....

- بعد أن انصرف الجميع قبض على يدي بعنف أجفلني وهو يسحبني

خارج المنزل، تحديدًا نحو غرفة ملحقة بحديقة القصر، تأمّلت المكان حولي بصعوبة مع تلك الإضاءة الحمراء الخافتة، كانت غرفة كبيرة جدرانها سوداء ودرجة المكيف بها أدنى من المعتاد، لذا دبّ الرعب بأوصالي وأنا أتأمّل محتوياتها!

متى ستكف تلك المرأة عن قول الألغاز، هكذا فكر، لكن جاءته الإجابة أسرع مما توقع عندما وصله صوتها المرتجف وكأنها تذكرت شعورها السابق....

- وقتها عرفت أن فارسي المغوار ما هو إلا رجل مريض، ساد النزعة، هيّأ تلك الغرفة ذات الجدران الكاتمة للصوت وملأها بأدوات تحققً متعته الجسدية المتطرفة، وعندما سألته بخوف بعد ليلتنا الأولى الدامية لماذا اخترتني؟

أجابني ببرود:

- أنني كنت فرصته للتمرد على جده وإخماد الشائعات التي تناثرت حول كونه لا يقرب النساء ولم يعرف أحد بعلاقاته كأمثاله من نجوم المجتمع المخملي.

تحوّلت عيناه للون الأحمر تزامنًا مع جحوظهما الواضح من شدة الانفعال إلا أنه لم يستطع أن ينكر اطمئنانه على حال أخيه عندما علم بإقباله على الزواج رغم سرعته وقد لاحظ عليه العديد من الأعراض التي تغاضى عنها؛ فتلك الحادثة التي شهدها بنفسه في مراهقتهما لن ينساها ما حيي، حيث رأى أخاه يخنق إحدى القطط مستمتعًا بصوت موائها المستغيث بينما عيناه تبرقان بنظرة أثارت الرعب في نفسه، إضافة إلى عدم شعوره بالذنب أو تأنيب الضمير على أخطائه، وأيضًا حبه للسيطرة ووسوسته القهرية بالنظافة والتنظيم، الذين صاحبهم معاملة سيئة لخدم القصر أمام الآخرين وتعمّد تهديدهم، كل تلك اللمحات السابقة كانت تتواصل في عقله دون هوادة، نعم شك في طبيعة أخيه العنيفة، إلا أنه لم يتوقع أن يصل الأمر لتلك

الدرجة، اعتصر عينيه بغضب أعمى وهو يعي للتو أنه للأسف يصدقها .. ثم قطع صمته وهو يقول بصوت لا حياة فيه .....

- تابعي؟

استندت برأسها على المقعد مغمضة العينين بينما صوتها يصله كمن قدم من واد سحيق...

- لاحظت أن صراخي كان فيه متعته المتطرفة لذا حرمته منه ليتوقف عما يفعل، كنت أتناول مخدرًا قبل الذهاب معه للغرفة كي لا أشعر بما يفعله بي وقتها؛ كان ينفعل ويتمادى في تصرفاته المريضة حتى أنني كنت أخرج من الغرفة دامية الجسد.

- وماذا عن وجهك؟ لم ألاحظ عليه أيه علامات للتعذيب.

أومأت إيجابًا وهي تجيبه بموضوعية:

- لكي لا يعرف أحد ما كان يفعله بي.

أومأ لها بصمت قبل أن يقول ...

- وماذا فعل عندما لم يجد عفوًا متعته معك؟

حركت كتفيها بلا مبالاة....

- لم يعد يقربني وكم كنت ممتنة لذلك خاصة أني زوجته ببلد غريب، له فيها نفوذ وعلاقات كما أنه ابن من أبنائها أما أنا فلا، لذا لن ينقذني أحد أو يستمع لي.

رغم ضيقه الواضح من استسلامها، وخضوعها إلا أنه أومأ بصمت، لكنها قرأت سؤاله في عينيه فاستطردت....

- كان يحضر العديد من النساء ويخبرني باستمتاع أنني لا أرضيه كما يفعلن هنَّ، لم أبالِ ، بل في الواقع كنت أشعر فقط بالإشفاق على من تقع بين براثنه، حتى اختفى فجأة يومين كاملين دون أي خبر عنه، لن أنكر راحتي فى غيابه لكن ما حدث بعدها طغى على كل راحة.

ثم عادت بذاكرتها لذلك اليوم الذي نالت فيه حريتها وخسرت هويتها....

فتح باب الغرفة دون طرق، توقعته زوجها الذي لا يهتم بالذوق ولا قواعده لتفاجأ بمدير أعماله، همّت بتوبيخه على فعلته إلا أنه اقترب وأمارات التوتر بادية على ملامحه ثم قال:

- أتركي كل شيء الآن، فسيدي وجد قتيلًا.

ثم وضع حقيبة جلدية سوداء على الطاولة أمامها وفتحها قائلًا:

- خذي تلك النقود وكذلك تلك الهوية وهذا الجواز وعودي لبلدتك الآن.

طالعت صورتها بأنامل مرتعشة على جواز سفر باسم ليس لها، ثم قالت :

- مهلًا .. أليس ذاك هو اسم الفتاة العاملة في القصر؟

همت بسؤاله، لكنه دفعها للخارج مقاطعًا تساؤلها.

بعد أن ابتعدت عن المنزل لمحت حريقًا مهيبًا شبّ في غرفة الإعدام خاصته .....

الصمت كان جوابها بعد أن عادت من ذكرياتها، بينما هو كان في صراع تلاه صدمة توسدت ملامحه بأريحية وبدأ صدره يعلو ويهبط، كأنه في إحدى سباقات العدو؛ ثم قطع صمته قائلًا بصوت لاهث :

- هل تعنين أن نايف هو من قام بتلك الفعلة ليتخلص منه، لكن لم؟ لقد

كان دومًا خادمه المطيع.

ثم ضرب رأسه براحة يده وهو يتذكر طلبه الأخير بالابتعاد بعد أن فقد رب عمله معلّلًا أنه لن يعمل مع سواه، لقد اختفى منذ تلك الليلة ولم يعد بعدها لذا قال بانفعال .....

- ماذا سنفعل؟ كيف سنعيد رمادك يا سيدة عنقاء وقد اختفى ذلك اللعين؟؟

برقت عيناها بإصرار قائلة:

- لكن تسجيلات الغرفة لن تختفي فلا يعلم أمرها غير أخيك الذي لم يمنح ثقته الكاملة لأي شخص.

قبض على ذراعيها بانفعال وهو يقول بغضب لم يستطع كبحه ...

- هل تعنين أن أخي كان يصور تلك الأفعال المشينة.

أخفضت رأسها وحرّكتها إيجاباً دون كلمات فاستطرد بتساؤل .....

- طالما أخي لا يثق بأحد فكيف عرفت أنت بموضوع التسجيلات.

رفعت عينيها الغريبتين نحوه بإصرار قائلة:

- لاحظت أنه يتسلل من الفراش بعد نومي عندما يكون القصر غارقًا في سكون قاطنيه لذا تتبعته إلى الغرفة التي تحت السلم حيث لا يدخلها سواه.

ثم تابعت...

- ستجد مفتاحها في سلسلة مفاتيحه التي لم تكن تفارقه.

هدر من بين أسنانه .....

- أولًا تعلمين أنها قد ذابت بفعل النيران تلك الليلة !

- لكنك تستطيع كسرها إن أردت.

إجابتها السريعة الواثقة جعلته يطالعها بغموض قبل أن يرفع هاتفه ويطلب رقم ما وبعد أن أنهى اتصاله التفت لها قائلاً بإرهاق لم تغفله ....

- سننتظر هنا للمساء وسيقابلنا عامل النجارة حينها عند باب القصر الخلفي.

وقفا أمام باب الغرفة المفتوح بعد انصراف العامل بتردد .. يناظران بعضهما البعض ثم يوجّها نظراتهما نحو الغرفة التي فور إضاءتها ظهر لهم عددًا من الأجهزة وشاشة ضخمة معلقة فوق الحائط؛ ابتلعت ريقها لكنها حسمت أمرها قاطعة ترددهما معًا وهي تدلف للغرفة التي أغلقها عمر خلفهما بهدوء، كان يتأمل ظهرها وهي تعبث بأناملها برشاقة على جهاز الحاسوب المتصل بالشاشة ليقول بدهشة :

- كيف عرفتِ استخدام تلك الأشياء؟

ابتسمت له لأول مرة رغم ما يعتمل بنفسها ابتسامة صادقة وهي تقول:

- أنا خريجة حاسبات ومعلومات ثم عقبت قائلة ليس بالأمر الجلل.

أنهت ما تفعل وهي تبتعد ممسكة بجهاز التحكم عن بعد حتى توقفت فجأة وهي تطالع التاريخ في أعلى الشاشة لتقول بحماس .....

- هذا هو تاريخ الحادث.

بدأت في تسريع اللقطات حتى لمحت باب الغرفة يفتح ويدلف منه زوجها برفقة سيدة يبدو من هيئتها أنها من سيدات المجتمع المخملي، لم تعِ للصدمة التي ارتسمت على ملامحه وهو يتأكد من هوية المرأة ليصرخ قائلًا...

- إنها زوجة أشهر رجال الأعمال الذين نتعامل معهم.

أومأت بصمت وهي تحاول تدارك حرجها بينما تتتابع المشاهد المشينة أمامهما على الشاشة، وكلما ازداد ارتفاع حاجبيه مما يفعله أخوه زاد تورد وجنتيها، لكنها لا تملك حقّ رفاهية الخجل في تلك اللحظة، لذا توقفت عندما شاهدت المرأة تدفعه عنها بعنف وهو مصر على تقييدها، صراعات من الطرفان أنهتها هي وهي تسحب أحد الأسياخ الحديدية وتغرزه بعنف في صدره، لاحظا الصدمة المرتسمة على وجهها وهي تتنقل ببصرها ما بين جثته وسلاح جريمتها الذي ألقته بخوف وهي تجلس القرفصاء ملتصقة بأحد الجدران تنتفض رعبًا ولا يستر جسدها شيء.

بعد فترة هدأت قليلًا لتزحف على ركبتيها حتى وصلت لحقيبتها فأخرجت هاتفها وطلبت رقمًا ما ثم تحدثت باقتضاب ومن ثَمَّ أنهت مكالمتها وارتدت ملابسها، دقائق ودلف من توقعا تمامًا "نايف" حديث قصير تبعه خروج المرأة راكضة وهو يغلق باب الغرفة خلفها كأن شيئًا لم يكن، ساعات طوال تلتها حتى توقفت عن تسريع الأحداث وهي تلاحظ دلوفه ساحبًا تلك المسكينة التي شهقت وهي تلتفت تداري وجهها بين راحتيها عندما طالعت سيدها المضرج بدمائه وقبل أن تزيح يديها أصابتها رصاصة غادرة من سلاحه الكاتم للصوت واستقرَّت في صدرها، وسقطت صريعة بجوار سيدها، بينما ألقى سلاحه بجوارها وأخذ في نثر السائل سريع الاشتعال ثم تلاه بعود ثقاب وعندما أنهى ما بدأه، التفت مغادراً.....

بعد أيام

خرجا من المخفر بعد الاطلاع على التسجيلات وانتهاء التحقيقات الخاصة بالقضية وقد تم القبض على السيدة، ووعد الضابط المسؤول بالوصول للجاني بعد أن علموا بمغادرته للبلاد، التفتت له بعينيها ورمقته بنظرة امتنان لم يعرف على إثرها هل من حقه أن يسعد بها بعد ما فعل أخوه، لكنه بادلها الابتسام على أية حال وهو يقول .....

- ما خطتك الآن؟

ترقرقت الدموع في مقلتيها وهي تنظر لجواز سفرها الذي تحصلت عليه أخيرًا، بعد أن أهدت السلام للمسكينة في مرقدها لتقول بلهفة لم يعرف سببها .....

- سأعود لوطني.

فأخذت عيناه تتأملان الراحة البادية على ملامحها المرهقة ثم قال:

- تستطيعين العمل معي إن أردتِ.

حركت رأسها نفيًا وقد اتسعت بسمتها لتشمل وجهها كله ...

- لا ...، لقد تعلمت الدرس هذه المرة ولن أكرر خطئي، أن أجوع في أمان بلدي لأهون عليَّ من أن أعيش بلا حقوق في بلد غريب.

مد يده مصافحًا يدها فقبضت عليها بامتنان وابتسمت قائلة :

- أشكرك لأنك أهديتني رمادي الذي سأنبعث منه بعد طول رقاد.

بادلها الابتسامة قائلًا وهو يشد على يدها ..

- بل أنا من أشكرك يا عنقاء نفضت عني رمادًا تدثرت به لسنوات طوال .

همت بإيقاف سيارة أجرة، لكنه لم يمهلها قائلًا :

- سأقلك إلى المطار.

لكنها أبت واستوقفته بإشارة من يدها وهي تجيبه ولازالت محتفظة بابتسامتها ...

- لا.

عقد حاجبيه باستفسار أجابت عنه على الفور بخجل فطري أصبح لها كامل الحرية في التمتع به أخيرًا.....

- شكرًا على التذكرة، لكني لا أحب لحظات الوداع لذا ...

ثم استوقفت سيارة أجرة لمحتها بينما كانت تحادثه، فتحت باب المقعد الخلفي وقبل أن تجلس التفتت له تستكمل جملتها المعلقة .....

- إلى اللقاء .

واختفت داخل السيارة دون انتظار رده، غافلة عن نظراته التي كانت تشيعها بأمل بينما يهمس هو:

- إلى اللقاء قريبًا جدًا سيدتي العنقاء !

تمت بحمد الله.

ليلة باهظة الثمن

أشرف غازي

كانت الساعة تشير إلي الواحدة صباحًا، وكنت عائدًا من عملي مجهدًا، مكدودًا، ورغم ذلك لم يغالبني أدني شك في أنني لا أود العودة إلي البيت، يساورني إحساس بوجوب الانطلاق بالعربة في شوارع طنطا التي تكاد تخلو من الناس، فاندفعت بالعربة في شارع تكرير البترول وانتابني من ذلك السكون المطبق والنسمات العليلة، وهبَّة الهواء التي لفحت وجهي انتعاشًا وسعادةً ..فتمهلت وأخذت أُدندن بصوت خافت وراقني الأمر حتى أنني أحسست أني كنت علي صواب .

لا أثر لعابر طريق، ولا أثر لحياة؛ اللَّهُم إلا بعض الأضواء المتناثرة التي لاحت من نوافذ متباعدة من تلك الأبنية العالية التي علي يميني وعلي يساري، امتد سور الشركة الطويل ومن وراءه الفراغ الفسيح يُغلِّفُه وشاح من الوحشة والظلمة ..

وعلي أضواء الطريق الباهتة .. ووسط سكونه المخيم بدا لي شبح امرأة تستحثُّ الخطي وكأنها مقاتل مقدم علي معركة مصيرية، وبغريزة الرجل ازددتُ تمهلًا ورحتُ أرقبها من بعيد، لم أستطع سوى تمييز أنها أنثى فقطْ من حدودها وطريقة سيرها، فكثيرًا ما كنت أحدِّد جمال المرأة من هذين الشيئين حدود جسدها وطريقة سيرها، ولم يخدعاني إلا في القليل النادر، على رغم خطواتها المسرعة إلّا أنها كانتْ شيئًا لطيفًا يستَحقُّ الرؤية والتأمُّل أو ربما أكثر من الرؤية.

اقتربت منها شيئًا فشيئًا حتى أنه لم يبقَ بيني وبينها سوى مسافة قصيرة لكنها لا تمنحني رؤيتها بدقة وتمحيص؛ لذا أضأتُ نور العربة العالي فانزعجتْ وغطتْ وجهها بيديها، أسرعتْ الخطى كي تخرج من نطاق الضوء غير عابئة بي ولا بما فعلت وأكملتْ سيرها بنفس الجدية والإصرار ولم تلتفت حولها؛ بينما أنا لم أحاول التوقف فلقد كانت المدة التي سطع فيها الضوء علي وجهها كافية لأن أستكشف معالمها، كما لم يكن بها ما يغريني ويرضي غاية الصياد داخلي بل كانت شاحبة الوجه غائرة العينين، نحيفة الجسد واستطعتُ أن أُميز أيضًا أنها قد تخطَّت عقدها الثالث بقليل.. ودفعني هُزَال الصيد والكسل إلى الانطلاق بعربتي مفضلًا النسمات الهادئة وجو الليل الساحر وأكملتُ دندنتي، ثم انطلقتُ مارًا بشركة تكرير البترول وصولًا إلى مَشفى أم القرى إلي أن وصلت إلي الكوبري العلوي المؤدي إلى سوق الجملة، ومِن ثم عدتُ أدراجي إلى حيث أتيت وأثناء عودتي وجدت نفس الشبح بخطواته العجلى ومشيته الجادة الصارمة وسط الهدوء والعُزلة.

أدهشتْني رؤية المرأة التي كانتْ لا تزال في سيرها وكأنها تسير بلا وجهة محددة، كنت أتوقع أن تختفي في إحدى البنايات الملاصقة للطريق لكنها لم تفعل، ولم يكن يبدو من طريقة سيرها أنها فتاة ليل تبتغي صيدًا أو تمارس نوعًا من الرياضة فلا ملابسها تؤهِّلها لذلك ولا الوقت يشفع لها .

ومرة أخري تولَّدتْ بداخلي نشوة الصيد التي كانت قد توارتْ منذ قليل، ثم أن حب الفضول والرغبة الجامحة في معرفة حقيقتها قد دفعاني دفعًا إليها، لذا اقتربتُ منها بلا خطة موضوعة أو تفكير مرتب أو حتى هدف واضح، وأوقفت العربة وقلت لها بلهجة حادة وأسلوب مقتضب:

- تفضلي.

راحت تتفرس المرأة في ملامحي التي بدت واضحة من ذلك الضوء الذي انعكس علي وجهي جراء فتح الباب، ورحتُ أعصر عقلي عصرًا كي يهبني خُطة مناسبة إذا ما تمنَّعت أو صدَّت، أو إذا وجَّهت لي كلمات توبيخ وتقريع .

لكن المرأة فاجأتني مفاجأة أَضاعت معها كل خططي وكل ما أعددته من ترتيب واستعداد، إذ أنها في ثواني معدودة كانت تستقر بجواري دون أن تتغير لها ملامح أو تتحرك لها شفاه، وساد الصمت بيننا إلا صوت أنفاسها التي بدت مسموعة واضحة كجوَّاد في سباق؛ سرتُ بالعربة وكلانا صامتًا شاردًا ببصره من خلال النافذة، لا ننظر لشيء بقدر ما يهرب أحدنا بل كلانا من النظر للآخر، لكني رحت أُحدث نفسي "لابد أن أتحدث ألست أنا الصياد وصاحب دعوتها إلي عربتي؟"، لكن أقرب الكلمات إلي لساني كانتْ كلمات الترحيب.. قلتها لكي أستعيد رباط جأشي وتعود إليَّ روحي المرحة المغازلة، فقلت:

- مساء الخير

ولم أجد بها ما يدفعني إلي الغزل الصريح المباغت، خبتْ بداخلي لذة الصياد وتغلَّبتْ عليّ رغبة المستطلع الذي يدفعه فضوله دفعًا، ولم أشأ أن يبدو غزلي مصطنعًا متكلفًا فوجدتني أقول لها:

- إلي أين؟

- أحضّر العشاء.

(عشاء!!)..كادت أن تنفلت مني صيحة دهشة، غالبتُ نفسي علي إمساكها، حيث لم يكن في مظهرها المحترم ولا في تلك الساعة المتأخرة من الليل ما يدفع سيدة مثلها لإحضار العشاء. ووجدتني أقول لها بلهجة غير المُصدق :

- عشاء الآن؟؟

- نعم الآن لم أجد شيئًا أقتات به.

- ألم تكوني علي علم مُسبق بخواء ثلاجتك؟

- لم أكن أدري أن البيت ليس به طعام إلا حين عودتي.

- وأين هذا البيت؟

- قريب من هنا.

قالتها وأردفت:

- ثم أنني لا ألتفت لهذه الأشياء غالباً إلا حين عودتي.

مخلوقة عجيبة! والأعجب ردّها!!

وفجأة التفتُّ لنفسي بعد أن تحوَّلتُ من صائد مغازل إلى محقِّق يسأل ويتساءل ويفرض فروضًا ربما كانت حقيقية وربما كانت المرأة هي المحقة، وإكمالًا لشلالات الأسئلة التي اندفعت بداخلي كالسيل وجدتني أقول لها:

- وإن كان الأمر كما تدَّعين فلمَ لم ترسلي غيرك ليأتِيكِ بطعام؟

فقالت وقد نفد صبرها:

- لأنه لا يوجد بالبيت غيري.

ووقع عليّ ردها وقعًا جعل السعادة تفيض بين جوانبي فيضًا، إذًا تسكن وحدها، أو علي أقل تقدير هي وحدها تلكَ الليلة ويمكنني العودة معها إلى حيث دارها، كل ما عليّ فعله الآن أن أبحث عن مكان آمن نبتاع منه العشاء، مكان لا تبصرنا فيه عيونًا تُحدِّق بفضول، سرتُ في تجاه أعرفه به حوانيت تعمل حتى وقت متأخر من الليل، لكنها بادرتني قائلة:

- اتجه يسارًا.

فقلت لها متعجبًا:

- لمَ..؟ سوف أصل بكِ إلي مكان أعرفه فيه حوانيت تعمل طوال الليل.
- لا ترهق نفسكَ

قالتها ثم تابعتْ:

- في نهاية هذا الشارع حانوت لي عنده حساب.

سرتُ في الاتجاه الذي أشارت إليه وفي نهاية الشارع كان بالفعل الحانوت الذي تقصده، فانتظرت في العربة وذهبت هي ثم عادت تحمل بين يديها عدة لفائف واستقرَّت مجدداً جواري، لكن هذه المرة لم تعد أنفاسها تتلاحق واختفتْ نظراتها المرتابة الحائرة، فسألتُها:

- هل نعود إلى البيت؟
- إن لم يكن لديك مانعًا هل يمكن أن تدور بالعربة قليلًا؟
- كما تشائين.

سرت في اتجاه شارع المحكمة القديمة الواسع الرحب الذي يكون خاليًا تمامًا في هذا الوقت المتأخر من الليل وقطعته حتى آخره وإذا بي أجدها شاردة، فقلت لها مستدرجاً وحتى أردها من شرودها:

- أتعيشين وحدك؟
- أجل.
- ألست متزوجة؟

- تزوجت ولم يحالفني الحظ وتزوجت أخرى وطُلقت بعد عام واحد وقد أتزوج ثالثة!!... وكأن الزواج عندي من الأحداث الطارئة التي ما أن تحل حتى ترحل.

- أليس لكِ أهل؟

- لي.. ولكنني أعمل في إحدى شركات الإنتاج السينمائي وأعود في وقت متأخر وربما أعود في مرات عديدة سَكِرة، فلم أشأ أن أُسبب لهم حرجًا أو أن يذكرهم الناس بسوء جراء عملي.

على ما يبدو أن الأمر قد بات سهلًا هيِّنًا للغاية، هي وحدها بالبيت وتعود أحيانًا ثملة وتعمل بمجال السينما وما تجلبه السينما من انحلال وتسيُّب، لم أر صيدًا هينًا كهذا من قبل، لكن لم تكن المشكلة تُحل حتى تُعقَّد ثانية فلم تحرك المرأة فيَّ أي جارحة ولم تُثرني وكنت أعول علي تلاصقنا وقربها مني فلم يزيدني ذلك إلا شفقة عليها إذا بدا ليّ عن قرب هزالها الواضح وشحوب وجهها الذي يشبه إلي حد بعيد شحوب الموتى، ومع ذلك وبدافع العناد والإصرار وإكمالًا للمغامرة التي بدأتها قلت لها فجأة:

- ألا نعود للبيت؟

فقالت بلهجة مستسلمة:

- كما تحب.

عُدت بالعربة أدراجي وما هي إلا دقائق معدودة التهمت فيها الطريق إلتهامًا كنت أمام بيتها فوجدتها تلملم اللفائف بين يديها وتستعد للنزول، فقلت لها :

- دعيني أحمل عنك.

- لا عليك فالأمر ليس صعبًا.

- هل تمانعين في صعودي معكَ ؟؟

فأطرقت برأسها وشردت وكأن كلماتي قد أفقدتها توازنها فأوشكت أن تتهاوى كملاكم تلقي ضربة قاضية..ثم لملمت شتاتها وقالت:

- أتُعني ما تقوله؟

- بكل تأكيد.

- لكنني أخشي أن يرانا البواب فيتحدث عنا.. فيظن السُكان أنني أُحضر رجالًا في البيت فيزداد الأمر سوءًا.. ولكن انتظر هنا وسأرى أنا إذا ما كان البواب نائمًا والطريق خالٍ ..حينها سأُضيء مصباح هاتفي وأغلقه مرتين.. أترى تلك النافذة؟؟ -وأشارت إلى نافذة في أعلى البناية- سأكون هناك في الأعلى.

فقلت لها:

- وإن لم أرَ ضوءًا؟

- إذن عليك أن تنصرف.

وقفت بجوار العربة أنظر عاليًا في انتظار ضوء يومض...أي أحمق أنا وأي مغامرة تلك التي جعلت نفسي بين رُحاها؟ ولم أُصر علي الزج بنفسي في أمر قد يكون برمته أُكذوبة كبيرة...؟؟ فربما كانت المرأة هي الصياد لا أنا؟؟وربما كان بيتها كمينًا تستدرج فيه السُذج أمثالي...وربما كان معها زوجها بالأعلى ينتظر صعودي؟ فلا أعود إلا وقد خسرت كرامتي وأموالي...وربما يفتضح أمري وأصبح علكة في أفواه البعيد والقريب في طنطا يذكرون قصتي كنوع من التظرُّف والفكاهة.. ولماذا أصر علي البقاء والمرأة لم تُثر في جارحة ولم

تهيج فيّ فؤادًا؟ ولكن ما بال تفكيري لا سلطان له علي أفعالي!! لا شيء من كل هذا التفكير قد غير في الأمر شيء ..بل وقفت أنتظر وميض الضوء.

بعد وقت ليس بقصير أتاني الضوء ثم خبا.. ثم عاد يلمع من جديد، فأحسست باضطراب لذيذ ونشوة ظاهرة، وتوترت أعصابي، نافذة في السماء، ونور يومض، هي لا شك مغامرة تستحق أن تُخاض أيا كانت المرأة التي سأغامر من أجلها ..

لم أطق صبرًا وسارعت بالمرور من البوابة الحديدية، عدوت الدرج عدوًا حتى وصلت إلى الدور الأخير ورحت أنظر يمنة ويسرة، لكني لم أجد أحدًا، شعرت بحيرة فلم يكن من الممكن أن أطرق بابًا في هذا الوقت المتأخر من الليل وإلا افتضح أمري وخابت غايتي، وفي تلك الأثناء سمعت همسًا بالأعلى، نظرت فوجدتها تطل برأسها من فتحة صغيرة بالسطح، أمعنت النظر فوجدت سُلمًا صغيرًا يفضي بي إلي حيث تنظر، صعدت السلم فوجدت في نهايته حجرة صغيرة، أحسست بشيء من الخذلان والخيبة وأنا ارقب الحجرة المتواضعة بمظاهر الفقر والرثاثة البادية منها، وحاولت جهدي أن أستر خيبتي بضحكات مفتعلة، فرمقتني هي بعين فاحصة مستكشفة ثم قالت:

- آسفة فالمكان لا يليق بك.

فجاهدت نفسي كي أُنحي خذلاني جانبًا وحاولت أن يبدو مرحي أصيلًا غير مفتعلٍ وقلت لها:

- بل إنه مكان شاعري لطيف.

فضحكت ساخرة وهي تتمتم:

- بل أنت المجامل اللطيف.

استأذنتني ودلفت إلى مدخل صغير يفضي إلي مطبخ لا يتسع لفردين معًا على مدخله وُضعت ستارة سوداء بدت عليها الأوساخ ظاهرة بوضوح، وعلى الجانب الآخر دورة مياه، أما الحجرة نفسها فيتوسطها سرير صغير فراشه مبعثر بلا ترتيب ولا تنظيم، وضعت عليه وسادة بالية بدا واضحًا عليها علامات الرأس بقذارتها الدهنية.

كانت الحجرة تعجُّ بالفوضى والاضطراب، ملابس بأشكال مختلفة تناثرت هنا وهناك،وأعقاب سجائر وزجاجات ويسكي وبيرة فارغة، وفي وسط الحجرة تماماً دولاب خشبي صغير خرجت أحشاؤه، بجواره مشجب عليه قطع ملابس نسائية صغيرة، وتحت المقعد الخيزران الذي أجلس عليه كانت توجد سجادة ناحلة.

وسط كل هذه الفوضى والرثاثة وجدت أخيرًا الشيء الوحيد المُعتنَى به، منضدة صغيرة رُصَّت عليها بعض الكتب في عناية وترتيب، ولم أجد مبررًا لوجود الكتب في حجرة كتلك فلم أتمالك نفسي إلا وأنا أقول لها :

- يبدو لي أنك تقرئين كثيرًا.

فأتاني صوتها :

- هي عشقي وملاذي.. وأصدقائي الذين لا أملهم ولا يملوني.

عادت من المطبخ تحمل أطباقًا وضعت فيها ما أحضرته من طعام ثم مدت يدها إلي الدولاب الصغير فأخرجت زجاجة ويسكي ممتلئة حتى نصفها ونظرت إليّ متضاحكة وقالت:

- لعلك لا تمانع في مقاسمتي الزجاجة، إني في أمس الحاجة إليها كلها، لكني سأتنازل لك عن نصفها.

- أنا لا أشرب.
- ليس معقولًا.
- لم؟؟

مغازلًا..

- صياد مثلك يتبع النساء إلى خدورهن ولا يشرب .. خذ لك كأسًا.
- حقيقة لا أشرب.
- إذًا أصنع لك فنجانًا من القهوة.
- لا ترهقي نفسك.

وضعت صحاف الطعام وبجواره زجاجة الويسكي وانحنت علي قميص نوم أسود مصنوع من الفيزون وروب أحمر حريري كانا معًا علي الأرض بجوار السرير ثم قالت وهي تحاول أن تزيل عنها الحرج :

- سأبدل ملابسي وأعود إن لم يكن لديك مانع، فإني أريد أن أكون معك على راحتي.

فقلت لها أزيل عنها أي حرج:

- افعلي ما يحلو لكِ ولا تقيمي لوجودي وزنًا.

على ما يبدو أن منظر الغرفة المنفر وتلك القذارة والرثاثة قد نالا من نفسي فلم تعد بداخلي صفة المغامر القادم على صيد ثمين. بل تمنيت حينها أن أهرب...نعم أهرب وحسب، ثم إن المرأة منذ البداية لم تكن تثيرني وكل ما جعلني أفعل ما فعلت هو روح المغامرة ليس إلا .

بدلت ثيابها وعادت مسرعة والتهمت ما جهزته من طعام ثم راحت تفرغ

كأسًا تلو الأخرى وتلقي به في جوفها، وفعلت الخمر أفاعيلها فراحت تضحك وتقهقه وانسابت الكلمات من بين شفتيها كالسيل الجارف وفجأة تركت مقعدها ثم نزلت عند قدمي وأمسكت بيدي وقربتها من شفتيها وأحسست بأنفاسها الحارة علي يدي فسحبتها برفق كي لا أجرح إحساسها، بدأت أفكر في مهرب وهممت بالوقوف متعللًا بأنني قد تأخرت وعليّ الانصراف .

فوجدتها تنتفض وكأنما قد لسعها عقرب وهي تقول :

- تنصرف... لم؟

ثم راحت تبكي وتئن والخمر لا زالت تجعلها تترنح فلم أجد مفرًا من المكوث على مضض.. وباغتتني قائلة وهي تذرف الدموع:

- ألم تذق طعم الحب؟؟
- ذقته مرارًا.
- مرارًا!! أنت إذن لم تذقه بعد، الحب لا يُذاق إلا مرة واحدة... إما أن يرديك قتيلًا أو يبعثك حيًا.
- وماذا صنع بكِ أنتِ؟
- أرداني قتيلة كما ترى، فلم يدع لي إلا هذا الحطام الذي تراه.

وخشيت أن تدور الخمر أكثر مما تدور برأسها فقلت مواسيًا :

- أنتِ في خير حال.. هوني عليكِ.

ووجدتها تطلق من صدرها زفرة حارة وتنهيدة طويلة وقالت :

- سأروي لكَ قصتي ولكَ أن تحكم..

وأحسست أن طريق الفرار يتباعد، وإحساسي بالشفقة نحوها يجبرني علي البقاء والاستماع لها حتى لا أقسو عليها فأحطم البقية الباقية منها،

فرمقتني بنظرة طويلة وراحت تحكي...

- في شارع المأمون كانت تقطن أسرتينا، وكانت تربط والدته بوالدتي صداقة قديمة وود قائم، كنت حينذاك في السادسة عشر من عمري، كنت أراه دائمًا أمامي وأصوره مثل الفرسان، أو بالأحرى فارس سيحملني على جواد أبيض ونذهب معًا إلى مكان لا يعلمه غيرنا، كنت أعشقه عشقًا لو وُزِّع على العالم لكفاه ولكنه لم يكن ينتبه حتى لمجرد وجودي، وذات يوم زفت لي والدتي بشرى سعيدة جعلتني أترنح نشوة وسعادة، حيث قالت أننا علي وشك الخطبة وأنها قد تحدثت مع جارتنا علي ذلك ولم يبقَ سوى ترتيبات الخطوبة، لكن سرعان ما تبددت فرحتي حينما أعلن هو عن سفره المفاجئ لأوروبا لاستكمال تعليمه وانقطعت أخباره من وقتها؛ تركني ميتة وإن بدوت للناس على قيد الحياة.

وحينما نطقت جملتها الأخيرة انتفضت في مجلسي وعاد بي عقلي إلى الوراء... إلى حيث سنوات بعيدة وتذكرت وجه الفتاة البريء وقسمات وجهها الرائعة، وملامحها الهادئة. إني لأتذكر دارنا ودارهم ملتصقين في شارع المأمون بل أتذكر كل شيء، وكأنه حدث بالأمس وهنا أمسكت يدي لتقبلها من جديد فانتفضت واقفًا وسحبت يدي برفق وقلت لها مودعًا:

- الوقت تأخر والفجر أوشك على البزوغ.. سأعود مرة أخرى.

فوجدتها تقول ساخرة والدموع تسيل من عينيها....

- تعود!!! ألم تقل هذا منذ ما يقرب من عشرين عامًا... هل بقي في العمر عشرين عاماً أخرى؟؟ لا عليك.. الحب لا يُنتزع بالقوة، بل يُمنح عن طيب خاطر.

وانصرفت عنها شبه ميت، ما أقساها من ليلة باهظة الثمن!!

تمت بحمد الله.

عزيمة أنثى

هروة نصار

جلست على المائدة تنتظر لحظة وصوله، لقد أعدّت له أشهى الأطعمة التي يُفضِّلها، وأضاءت الشموع كما زيّنتْ المكان بالورود، وارتدت أجمل ثيابها، كالجارية التي تنتظر سيّدها، أرسلت ابنتها الصغيرة لتمكُث الليلة في بيت جدها، لكي تستطيع هي الاختلاء به، جلستْ شاردة في ذكرياتها معه، بعد أن فُتحت أمامها نافذة تُطِل منها على الماضي، بداية من أول لحظة وطأتْ قدماه منزل أبيها؛ ليشاهد العروس ويرى هل تصلح له أم لا؟ حتى أعلن موافقته أنها مناسبة له تمامًا، تذكّرت عندما كانت تتوسّل والدها أن يُمهلها قليلًا، فهي لا تزال متردِّدة، ولا تستطيع معرفة حقيقة مشاعرها تجاهه كما أنها لا تعرفه حق المعرفة، لكن لم ينصتْ لها أحد، وكأن الآذان صُمَّت مِن حولها فهو كما يقول الجميع (كامل الأوصاف)، لا ينقصه شيء.

مهندس، لديه منزل وسيارة، حتى عندما طلبت أن تعمل، قُوبلتْ بالرفض من الجميع وأوّلهم والدها وزوجها المستقبلي، وها هي بعد ثلاثة أشهر من زيارته الأولى، تجلس بجواره في حفل زفافهما، كانت تتأمَّل مظهره الجذَّاب، ونظراته العاشقة، ثم بدأت تُوزِّع نظراتها على الجميع، تشعر أنها في حلم، ولا تُصدِّق أنها وسط هذا الجمع الكبير حقًا، وعندما تُفكر في كل شيء مرّ بحياتها الماضية، ينتابها الخوف مما هو قادم، كأي إنسان بطريقه لمعرفة المجهول، شعوراً غريباً يُراودها، لا تعلم ماهيته هل هو خوف.. قلق.. فرح.. خجل أم ماذا؟

فهي ليست قادرة على استيعاب فكرة ــأن الليلة ستختلف على إثرها حياتها بالكاملــ وأنها ستصبح زوجة لرجل غريب عنها، لم تكن تعلم بوجوده قبل شهور قليلة؛ ظلّت تحاول أن تندمج في الحفل، وتترك قلقها وأفكارها جانبًا... "لابد أن تحاول التركيز فالليلة هي ليلة عرسها... تلك التي تنتظرها كل فتاة، يجب ألا تفسدها بكثرة الأفكار المُقلِقة، وأن تفتح للتفاؤل طريقًا إلى قلبها، فهي ستبدأ حياة جديدة مع رجل يحبها، أو هكذا يقول... فلمَ لا تحاول الاستمتاع بهذا التغيير الجديد؟ وتلك الحياة التي ستبدأها معه" هكذا كانت تقنع نفسها.

ظلت "ريم"صامتة كالبكماء حتى سمعت صوت زوجها يقول:

- ما بكِ حبيبتي.. لمَ أنتِ صامتة هكذا؟!

نظرت له بخجل وقالت: لا شيء .

نادر: هل هناك ما يشغلك؟

ريم بتوتر: لا، فقط لا أحب الصخب الشديد .

نادر بابتسامة: لا تقلقي حبيبتي، أوشكنا على الانتهاء، وسنغادر قريبًا لبيتنا حيث الهدوء ....

شعرت "ريم" بوخز في قلبها بعد أن قال لها ذلك، يبدو أنه أراد أن يطمئنها بتلك الكلمات، لكنه جعلها تتوتر ويزداد قلقها، وكأنه أراد أن يطفئ النيران بقطرات من "البنزين"..

فكيف ستتعامل معه؟ كيف سيكون لون ليلتها الأولى؟

تلك الليلة التي تحلم بها كل فتاة وترسم ملامحها في خيالها!!!

شردت في ليلتها، وتخيّلت نفسها مع زوجها الذي حتمًا، سيحملها من أمام باب المنزل ويدخل بها، ثم يساعدها في نزع تاجها، وتبدأ حياتهما بالصلاة، وبعد ذلك يُراقصها على أنغام موسيقى حالمة، لا يسمعها أحد سواهما، وهو يطرب أذنيها بكلمات الحب والعشق والغرام، حتى يذوبا سويًا؛ ستصبح تلك الليلة هي الليلة التي تتوج حبهما وتكون البذرة التي ستنمو بعد ذلك؛ لتُشكل الحياة الجميلة التي تنتظرهما؛ شعرت بالراحة الشديدة بعد شرودها مع أحلامها، وبدأت تنظر لزوجها وهي تشعر بالسعادة، وتحدث نفسها بأنها ستحاول إسعاده دائمًا، كما أنها يجب أن تتقبل حياتها الجديدة مهما كانت غريبة عنها، وتُؤسِّس بيتًا وأسرة سعيدة معه، انتهى الحفل واستقل العروسان السيارة، وتوجها إلى منزلهما الجديد وسط زفة كبيرة من الأهل والأصدقاء، انتهت أسفل البناية، وصعد العروسان بمفردهما كانت تشعر بخجل وتوتر شديدين، لكنها كانت تحاول أن تتخلّص من تلك الأحاسيس .

وصل المصعد إلي الطابق الخامس، وخرج العريس يسبق عروسته؛ ليضع المفتاح ويفتح لتلك العصفورة عش الزوجية الجديد؛ فوقف نادر ممسكًا بمقبض الباب وهو يشير لها بالدخول قائلًا:

- تفضلي يا عروس، أنرتِ بيتك.

نظرت له، وشعرت بالصدمة الأولى فهو لم يحملها بل اكتفى بأن أشار لها بالدخول، لكنها طردَتْ الفكرة من رأسها سريعًا،

وقالت لنفسها:

- ليس مهمًا أن يفعل ذلك، كل إنسان له أسلوبه، يكفيني حبه واحترامه.

دخلت المنزل وهي تشعر بالخجل، تسير ببطء وكأنها تسير فوق مسامير،

ولم ترفع عينيها عن الأرض، لم تكن تعرف كيف تتصرف، حتى وجدته يقترب منها ويرفع وجهها؛ لتواجه عيناها عينيه ويقول:

- حبيبتي، أنتظر هذه الليلة منذ أوّل لحظة رأيتك فيها، لذا لا أريد خجلًا، هيّا إلى الغرفة؛ ثم أردف: قومي بتغيير ملابسك، وسألحق بكِ بعد قليل؛ فنظرت له نظرة صامتة، لا تحمل أي تعابير، ثم توجهّت للغرفة وقامت بتغيير ملابسها في صمت، وارتدت قميصها، وذهبت لتخرج إسدال الصلاة من الخزانة، لكنها فوجئَت بزوجها يقتحم الغرفة عليها دون استئذان، ويقترب منها وهو يتغزل في مظهرها بأنفاس متسارعة، ووجه قد تحول لكتلة من الجمر، وهي مرتدية ذلك القميص المثير، الذي أظهر كل مفاتنها.

تنبهت أنها لم تكن ترتدي الروب الخاص به؛ فوضعت يدها بشكل عفوي على جسدها، وكأنها أمام من جاء الآن ليغتصبها، لكنه لم يترك لها المجال، بل جذبها إلى الفراش سريعًا دون أي مقدمات وكأنه أسد جائع، ووجد تلك الغزالة أخيرًا بعرينه، لم يكن متفهمًا لأهمية تلك الليلة عند كل فتاة، بل أراد فقط أن يأخذ ما يريد، ما يشعره أنها ملكه، دون أن يفكر فيما تريد هي.

تبخَّرت الأحلام في تلك الليلة،وهي تصرخ من الألم، بسبب قسوة ذلك الجلاد وعنفه، دون أي محاولة لأن يكون لطيفًا معها، أو أن يرحمها من ذلك الصراخ، هو فقط يريد أن يحصل على متعته، لا يهم أي شيء آخر.

مرت تلك الليلة عليها ببطء، وكأن عقارب الساعة تتسكَّع في دورانها، وتبعتها ليالي كثيرة بنفس القسوة والعنف، دون وجود للحب، أو الكلمات الجميلة، أو الملاطفة، ويبدو أن الحب عند بعض الرجال مثل قناع يسقط في هذه الليلة، لتبدو وجوه حقيقية شهوانية، حيث أصبح بداخلها يقينًا أن أسلوب زوجها هذا هو الواقع، وأن المشاعر والحنان والحب مجرد خيال، ولا

وجود له سوى في الأفلام، لذا حاولتْ تقبُّل شخصيته، وأهملتْ احتياجاتها ومشاعرها، لطالما أقنعتْ نفسها أنه الرجل، ويجب عليها أن تسعده، وتلبي رغباته، حتى أصبحت مع مرور الوقت كالتمثال، لا تشعر بشيء، ولا ترغب في شيء، فقط تعيش، وتتنفس، وتنفذ ما يُطلب منها، حتى رزقها الله بابنتها "فرح" فكانت هي الفرحة بالنسبة لها، يا ألله كم تعشق هذه الصغيرة، لقد أعادتها للحياة بعد أن كانت دفينة في قبرها، لقد عاد النبض من جديد في قلبها وبدأت تعرف معنى الحب مع صغيرتها .

مرت السنوات مع زوجها وابنتها وهي تعيش حياتين منفصلتين، حياة مع طفلتها مليئة بالسعادة والبهجة، وحياة مع زوجها مليئة بالقسوة وعدم التفاهم، كانت تتمني لو تقترب القلوب كما تقترب الأجساد، أن يجلسا سويًا فيستمع لها، وتستمع له، لكن اللغة الوحيدة التي كان يُتقنها هي التجاهل، فهو يتجاهل كل شيء يخصها من بداية زواجهما، حتى احتياجاتها، مشاعرها، وعندما تحاول الحديث معه، يشير لها أن تصمت، أو يسخر منها كأنها لا تعرف كيف تتحدث؟

ظلت تعيش في بيتها صامتة عن مشاعرها، وحزنها، حتى في دموعها، لا تجد السكينة والمودة والرحمة التي وُعِدت بها من الرحمن، حتى وصل به الأمر أنه قام بضربها في يوم من الأيام، بسبب أنها طلبت منه أن تخرج معه لشراء بعض الأغراض لابنتهما، فرفض وعندما ألَّحت في طلبها، وجد أن الرد المناسب صفعة قوية على الوجه، لتتعلم حدودها ولا تتعداها، فالكلمة يجب أن تُقال مرة واحدة؛ وهكذا زاد عليها جرحًا جديدًا، لكنه كان مختلفًا هذه المرة، فلم تتوقع يومًا أن يصفعها بعد كل هذا، لقد نستْ بسببه أنها أنثى لها مشاعرها واحتياجاتها التي يجب أن تُلبى، بعد أن جعلها تفقد الثقة في

نفسها وشخصيتها وأصبحت تابعةً له، مثل بلدة لا تجد حيلة سوى أن تتبع من احتلَّها دون رأي منها، وليس لها حرية اتخاذ القرار، ولا حتى حرية الرفض.

هكذا كانت تلك الليلة الأخيرة التي تحتمل فيها كل هذا، فلم تكن تلك الصفعة لتأديبها، بل لإفاقتها، تذكرت عندما نظرت له وقالت:

- أريد الطلاق.

وتذكرت أيضًا رده وهو يضحك بسخرية ويقول:

- طلاق، لن يحدث، انظري لنفسك، هل تعتقدين أن لكِ أي فرصة في العيش خارج جدران هذا المنزل؟ اعلمي أنكِ لن تحصلي مني على أي شيء، وابنتي لن أعطيها لكِ، وأهلك لن يحتملوكِ، يكفيهم زواج أختك الصغرى.

ثم نهض عن المائدة وقال لها وهو يدفعها بيده في رأسها:

- تعقَّلي، حتى لا ترين وجهي الآخر.

جلست صامتة وهي تفكر في كل شيء، ابنتها، وظروف عائلتها التي لن تستطيع مساعدتها، وعجزها في أن تعول ابنتها.

كانت قد وصلت حدّ الجنون، لم تعد تطيق العيش معه، لكنها لا تعلم كيف ستستطيع النجاة دونه؟ لذلك رضخت واستمرَّت في العيش معه وهي فاقدة الروح تعيش فقط من أجل ابنتها حتى تأتيها الفرصة المناسبة لتتمرد على تلك العيشة المميتة لها.

أفاقت من شرودها على صوت المفتاح يُدار في باب المنزل، ثم سمعت صوته وهو يهتف قائلًا:

- هل العشاء جاهز؟

نهضت من مكانها في استقبالهِ.

وأجابت: نعم ، وفِي انتظارك .

فدلف يشاهد كل الترتيبات التي قامت بها ويتأمّل مظهرها، ثم ابتسم بسخرية وقال:

- هل هناك مناسبة لكل هذا؟

فأجابته:

نعم، اجلس وسأخبرك.

جلس يتناول العشاء دون أن يبالي بمعرفة سر هذا التغيير، وجلست هي على الطرف الآخر من الطاولة، تنظر إليه ثم قالت أخيرًا:

- الآن، أنا سأتحدث وأنت ستستمع.

همَّ بالحديث، لكنها رفعت يدها وقالت:

- قلت أنا سأتحدث وأنت ستستمع .

صمت وهو يشعر بالذهول، متسائلًا في نفسه عمّا حدث؟ !!! فهي لم تجرؤ من قبل على محادثته بهذه الطريقة، كيف فعلت؟!!

بينما عاودت هي الحديث قائلة:

- لقد تزوجتك وأنا لا أعلم من أنت، ظنَّت عائلتي أنك رجل تتسم بالأخلاق، من عائلة كريمة، توقعت أنك إنسان يعلم كيف يعامل الأنثى فمن المفترض أنك شخص مثقف، لكن ليس كل متعلم مثقف، لقد كنت شخصًا أنانيًا، لا تفكر سوى في شخصك، واحتياجاتك فقط، لم تفكر بي مرة واحدة، لم تهتم لأمري، لم تحاول أن تراعي مشاعري، بل كنت

تتعامل معي كأني دمية، تحركها وقتما تريد، وتلهو بها مثلما تشاء.

صمتت لثانية ثم استأنفتْ كلامها قائلة:

- فات أوان الحديث، الآن أريدك أن تعلم، ماذا فعلتُ؟ أتعلم طوال السنة الماضية، ماذا كنت أفعل؟

حدَّق بها، ثم صاح قائلًا:

- ماذا تقصدين؟ ثم تابع ماذا فعلتِ؟

ضحكت هي عاليًا وقالت:

- يا لك من غبي، تعتقد أنك تستطيع أن تظل مسيطرًا طوال الوقت، تعتقد أنك عندما تتعامل معي بالقسوة، هكذا سأخضع لكَ، كما قلت، أحمق؛ ثم تابعتْ قائلة: أتذكر العام الماضي عندما طلبت منك الانفصال، أتذكر ماذا فعلت؟ وماذا قلت لي؟ هل تعتقد أني كنت سأقبل بما فعلته؟ هل صور لك خيالك أني سأقف مكتوفة الأيدي؟، وأعلن عجزي، لا لم يحدث، أتعلم ماذا فعلت؟ لقد وفرت لي ولابنتي ما نحتاجه، دون الاستعانة بك، لقد ظللت أعمل طوال السنة الماضية من المنزل، أنسيتَ أني خريجة ترجمة؟ أنسيتَ أني أستطيع العمل والتكفُّل بابنتي وبنفسي؟ اليوم أريدك أن تعلم أني لم أعد بحاجة لأموالك، ولا لبيتك، لقد وفرت السكن والعمل الدائم، أما أنت فلم تربح أي شيء، حتى احترامي لكَ فقدته .

قالت كلماتها ونهضت لتغادر وهي تقول:

- ولتعلم لقد ذهبت للقضاء لطلب الطلاق، و"فرح" ستظل معي بحكم القانون، وأنت ستبقى وحيدًا، لا تجد من تُمارس عليها سلطانك، أتمنى أن تكون سعيداً بما وصلنا إليه، ولتعلم أنك لم تكن زوجًا لي قط. لا

حبيبًا..... ولا سندًا..... ولا أمانًا..... والآن أنا اخترت أن أحيا سعيدة، ولن أقبل غير ذلك، فأنت لم تستطع أن تكسر عزيمتي، وداعًا.

قالت كلماتها وغادرت مسرعة حتى لا تترك له الفرصة للرد أو محاولة إيقافها، أما هو فقد كان يشعر بالدهشة الشديدة، وكأن نظام هذا الكون قد أُصيب بالخلل، فقد تأهّب العصفور واستعدّ للطيران، ولم يعد يهاب مواجهة الأسد، كما لو أن النجوم غادرت السماء وتركتها في ظلمتها وعتمتها، فلم يكن يتوقع أي شيء مما قالته، لم يصدق أنها فعلت كل هذا دون أن يشعر، كيف؟... متى؟... أين؟ كان يحاول أن يُكذب ما سمع، ويقنع نفسه أنها كاذبة، وأن كل هذا مجرد هراء لا يعني شيئًا، لكنها غادرت بالفعل، ولَم يعد هناك مجالًا للشك أنها فعلت كل هذا، غادرت المنزل مخلفة وراءها تلك الحياة، دون لحظة ندم واحدة، لقد استعادت حياتها، وروحها، لقد شعرت بالسعادة من جديد، بعد أن تحررت من تلك القضبان، لتشعر بأنها إنسانة لها رأيها وحريتها وكرامتها، غادرت لحياة جديدة مليئة بالأمل والحب والتفاؤل، فيكفي أن تكون ابنتها في حياتها لتعرف معها طعم السعادة ..

وبالفعل بدأتا حياة جديدة معًا في منزلهما الصغير الجديد، الذي كان يمتلئ بالحياة والحب والسعادة، فهي أخيرًا حصلت على حريتها، ولَم يعد هناك ما يعيقها على أن تكون أمًا جيدة، وأنثى سعيدة .

.....

"لا تستهِن بإرادة الأنثى، فعزيمتها وحدها تستطيع أن تحطم الجبال، وتتجاوز كل الصعاب، تستطيع أن تلمس القمر، فلا شيء يضاهي عزيمتها "

تمت بحمد الله.

أين عمري؟

رشا فوزي

استيقظتُ من نومي على صوت دقّات ساعة الحائط تخترق أذني، مختلطة ببقايا صوت أمي يرن داخل عقلي، نابعًا من ذكرى قديمة ممتزجة بأضغاث أحلام:

- البنت ليس لها سوى بيتها وزوجها!

نظرت حولي بفتور، وأنا ما زلت مستلقية على الفراش، أتمتم:

- هذا هو بيتي!

ثم التفتُّ إلى صورة زواجي المعلّقة على الحائط:

- وهذا هو زوجي، فلتهدئي ولتستريحي!!

نهضت من فراشي بآلية، متجهة صوب باب حجرتي، وقبل أن أبلغه حانت مني التفاتة إلى المرآة؛ لأرى امرأة غريبة عني، تنظر لي بعينين خاملتين، لا بريق فيهما، محاطة ببوادر تجاعيد، تعلن باستحياء عن بداية خريف العمر، في حين شعرها الأشعث يحيط بوجهها الخالي من التعبير فلا ينم عن فرح، أو حزن، أو أي شعور آخر، اللهمَّ الإرهاق، الذي ينطق به كل جزء من ملامح وجهها بوضوح.

اقتربت من صورتي في المرآة، أتأملها عن قرب، وكأنني أراها لأول مرة، لاحظت بعض الشعيرات البيضاء، تتسلل محاولة غزو ليل شعري البهيم، لمستها بأناملي، وأنا أخاطبها بمرارة:

- اطمئني، النصر لكِ في النهاية!

غادرت حجرتي؛ليستقبلني ابني ذو الثمانِي سنوات،ببشاشة تُنير ظلمة نفسي

- ماما، صباح الخير.

- صباح الخير يا عُمري.

أقولها له مبتسمة، وأنا أتلقّفه في حضني،

وأضُم جسده الهزيل بقوة، وكأنني أحتضن نفسي، وعمري الذي تسرّب من بين أصابعي، دون أن أشعر، مؤكدة لها أنه لم يَضِع هدرًا.

- ماما، أنتِ تخنقينني!

أسرعت بإطلاق سراحه من بين ذراعيّ، مُنزعجة من الفكرة .

- ماما، لا تنسِ تَمرِين كرة القدم اليوم، المدرب لا يحب المتأخرين، لابد من وجودنا قبل الميعاد بعشر دقائق.

- لا تقلق، لن نتأخر بإذن الله.

قلتها له وأنا أطبع قُبلة دافئة على وجنته، وأنهض متجهة نحو الحمام؛ لأجد ابنتي تخرج منه مُتبخترة بِخيلاء الشباب، وبهائه، تهمس وكأنها تغرّد :

- صباح الخير يا ماما.

- صباح الخير يا عُمري.

طَبعت قبلة خاطفة على وجنتي، ثم أخذت تقول مبتعدة عني، وهي بطريقها إلى حُجرتها:

- -سأخرج اليوم مع صديقاتي للتسوق، بعد العصر.

- -وهل استأذنتِ والدك؟

- - نعم، وقد وافق.

قالتها بصوت عال؛ لتبلغ مسامعي، وهي تغلق الباب خلفها .

بقيت بُرهة واقفة أمام الحمام، أُحملق في باب حجرتهِ المغلق، أرى خلفه بعين خيالي، شبابها الغض الذي يُذكّرني بشبابي!

كنت في سنِّها أرفل في أحلامي العريضة، مُتصورة الدنيا ملك بناني أفعل بها ما يحلو لي، ولم يكن يحلو لي سوى أن أكتب، أسطر كلماتٍ تبني عوالم هي من وحي خيالي، أنفخ فيها من روحي؛ لتستقيم نابضة بالحياة فتسعدني، وتُشعرني بذاتي.

لقد كان حلمي أن أصير كاتبة، حلمًا سعيت وراءه بجِد، وجديّة بين قصور الثقافة، وبيوت الشباب، متطلِّعة بحياء إلى أَرْوقة دور النشر، حتى بلغتُ سنّ الزواج؛ لأصطدم بأمي :

- تسعين خلف سراب! البنت ليس لها سوى بيتها وزوجها!

بينما والدي ينظر لي بشفقة وعطف وهو يقول:

- أخشى عليكِ من لقب عانس الذي لا يرحم؛ أخشى أن يَسرق حلمك عمرك منك!.

قصصك تستطيعين حياكتها هنا أو في بيت زوجك! ولا أنكر أنه عندما رأيت زوجي لأول مرة، شعرت بأنوثتي تنجذب لفحولته بقوة كانت كافية لدك كل حصوني؛ فتزوجت.

كنت في المطبخ، عندما سمعت باب الشقة يُفتح ويُغلق، خرجت لأنظر

مَن؛ فوجدته زوجي.

- أين كنتَ؟، استيقظتُ ولم أجدك في المنزل؟

- كنتُ أضبط وضعية «طبق الدش»، وأطمئنُّ علي جودة أسلاكه على سطح البناية.

- طبعا، فالدوري على الأبواب.

- واليوم بعد عودتي من العمل، لي جولة بحث مع «الرسيفر»؛ للتأكُّد من تواجد جميع القنوات الرياضية، وبهذا أكون أنهيت استعدادي للحدث الأهم.

- مبارك، وبالتوفيق!

قلتها ساخرة وأنا أولّيه ظهري متجهة للمطبخ؛ لأكمل ما بدأته، بينما يتجه هو لغرفتنا مسرعًا، وقبل أن يبلغها كان يسألني بصوت مرتفع حتى أسمعه:

- أين قميصي الأبيض؟

- مكوي، ومعلّق أمامك على الشمَّاعةK كذلك بنطالك الأسود.

وصمتُ برهة؛ لأضيف مسرعة قبل أن يسأل:

- وكل جواربك في درج الجوارب «بالجزامة.»

لا أعرف لماذا أصبحت تلك التفاصيل الصغيرة تُثير غيظي، والسؤال عنها، يُثير حنقي أكثر وأكثر؟!

ربما لأنني أدركت أن الزواج كبحر من الرمال المتحركة، ما إن تضع قدمَيْك فيه، حتى تجد نفسك تغرق ببطء في كم هائل من التفاصيل الصغيرة التي تصبح مسؤولًا عنها، بينما تُجرِّفك تلك التفاصيل بتمكّن بعيداً عن أحلامك وأهدافك.

ففي بداية الزواج، تجد عدم الاستقرار المادي، و»بعبع» كل حديثي الزواج، ألا وهو الأقساط.

وبعد مرور أقل من عام، يُضاف إليه هاجس تأخُّر الإنجاب، والأسباب التي قد تكون وراء ذلك، فتلهث خلف الظنون، والوساوس التي يُساهم فيها المحيطين بك بشكل كبير، كل هذا يحدث، إن لم تظهر بوادر الحمل في أسرع وقت! وعندما يأتي الطفل، تنقلب حياتك رأسًا على عقب، ويُصبح هو محورها، تنام عندما ينام، وتستيقظ عندما يستيقظ، تلهث خلفه في كل ثانية، التطعيم، التسنين، إنه دافئ و يتقيّأ، عنده إمساك، لا بل إسهال، لقد تأخّر في الكلام، لا بل في المشي...

وهكذا حتى تُجن، وما تكاد تنتهي من تلك المرحلة التي هي أشبه بالدوّامة، حتى تأتي مرحلة الدخول إلى المدرسة، ومِن ثَمَّ تجد من يسألك ذاك السؤال اللَّزج:

- ألم يحن الوقت لمؤاخاتهِ؟!

انتبهت من خواطري على صوت جرس الباب؛ لأجد زوجي يهرع خارج غرفتنا، وقد أنهى ارتداء ملابسه، يقول بنفس الصوت المرتفع:

- أنا سأفتح.

أسرعت في الانتهاء من إعداد الفطور، ووضعه على الطاولة في غرفة الطعام.

وبعد لحظات قليلة سمعتُ صوت الباب يُغلق من جديد؛ لأجد زوجي منتصبًا أمامي، متجهِّم الوجه، مُلوحًا بورقة صغيرة يمسكها بيده.

نظرت له بهدوء، بينما الكلام يندفع من فمه بعصبية:

- إنها ابنة البواب جاءت لتعطينا فاتورة الكهرباء.

- جيد !

أجبته بهدوء أقرب للبرود، ثم أردفتُ بنفس الهدوء:

- يبدو أن محصل الكهرباء، جاء البارحة ونحن عند والدتي.
- انظري إلى مبلغ الفاتورة يا هانم.
- تعلم أن أسعار جميع الخدمات قد ازدادت.
- بل السبب هو استعمالكم المُفرط للمكيف.
- أنتَ مَنْ يُصر على تشغيل المكيف عند النوْم !
- أنا أقوم بضبط المُؤقِّت؛ ليتوقف بعد ساعة.
- وكذلك يفعل أولادكَ من بعدك على التوالي!

ظلّ ينظر لي شزرًا، ويهمُّ بفتح فمه؛ ليرغِ ويزيد، ويُهدِّد، ويتوعّد، إلّا أنني أبتدره بنفس الهدوء:

- لا تقلق، لقد أخذت في الحسبان زيادة الفواتير، بالذات الكهرباء، منذ بداية أشهر الصيف، والآن اجلس وتناول إفطارك، حتى لا تتأخر على عملك، فنحن بحاجة لحوافزك، وعلاواتك.

زيّنتُ كلامي بابتسامة، بينما كان هو يجلس على الطاولة كطفل استطاعت أمه احتواء غضبه، وتهدئة ثائرته!

لا أعرف كيف للرجل الشرقي أن يكبر ويصير مستقلًا بحياته، يشقُّ طريقه فيها، يتزوج ويُكوِّن أسرة، ويفتح بيتًا، ويظل مع كل هذا طفلًا في جسد رجل!! و هل هذه الخاصية تخصُّ الرجل الشرقي فقط، أم أنها في عوامِّ الرجال؟!

قبل أن يخرج زوجي متوجهًا إلى عمله، سألني سؤاله المعتاد:

- هل تريدين شيئاً أحضره معي عند عودتي؟

- سلامتك.

- ألا ينقص البيت شيئًا؟!

- ما ينقصه سأشتريه أنا؛ ينجح البائعون دومًا في خداعكَ، إما في الجودة أو في السعر.

ينظر لي مغتاظًا، ثم يقول محاولًا كظم غيظه، معترفًا في قرارة نفسه بصحة ما أقول:

- هكذا إذًا، فليكن! أراكِ على الغداء.

انبثقت من فمي ضحكة، بينما هو يخرج، ويغلق الباب خلفه، أشعر بسعادة طفولية عندما أنجح في إثارة غيظه!

أحضرت مفكرتي الصغيرة وقلمي، وجلست بغرفة المعيشة مع كوب (النسكافيه)، أخطُّ على إحدى صفحاتها البيضاء، عنوان توَسَّط مُقدمة الصفحة:

« ميزانية الشهر»

ما إن انتهيت من كتابة العنوان، حتى تجلجلتْ ضحكات في أرجاء نفسي، فَتزلزلَ صمتها وخُنوعها، تلفتُّ حولي فزعة؛ لأجدها تقف في أحد الأركان مُتّكئة بظهرها على الحائط، عاقدة ذراعَيْها أمام صدرها، تنظر لي باستهزاء بينما تتساقط من بين شفتَيها بقايا ضحكاتٍ ساخرة، إنها أنا منذ خمسة عشر عامًا:

- إذًا هذا ما تجيدين كتابته الآن، ويا ترى ما نوع هذا الأدب؟!

- أدب واقعي!

أجبتها متحدية، فاقتربت وهي تنظر لي بحسرة وتقول:

- ألف خسارة، أين ذهبت أحلامك؟، وفيما ضيعتِ عمركِ؟!!!

كان سؤالها كمشرط حاد صغير، قامت بغرزه في قلبي مباشرة، لكنني أجبتها بـ "حلاوة روحٍ":

- مازال بإمكاني الكتابة أي وقت أشاء.

- حقًا!؟

قالتها ساخرة، ثم أردفت بتحدٍ:

- هاكِ الأوراق والأقلام أمامك، أرني.

أمسكتُ بأحد الأقلام، ونظرت للأوراق البيضاء؛ لأجد عقلي أكثر بياضاً منها وقد هجرته الأفكار، مُخلفة مكانها لكل تفاصيل حياتي الصغيرة التي أعيشها؛ لتحتلّها وتملأها، عوضاً عن القدرة على التعبير والسرد اللّذَيْنِ صدآ وتَيَبَّسا، بفعل عدم الممارسة لفترة طويلة، شعرتُ بالقهر، وانحدرتْ دموعي، تَكتب على أوراقي البيضاء، بدلًا من حبر قلمي الذي يبدو أنه قد جَف!

تلفتتُ حولي بخزي باحثة عن نفسي، فلم أجدها، لكني وجدت ابني، يقف قِبَلَتِي مشدوهًا، جزعًا:

- ماما إلى من كنتِ تتحدثين؟! ولماذا تبكين؟!

أجبته بانكسار، وأنا أدرك أنه لن يفهم إجابتي:

- أتحدث إلى نفسي، وأبكي عليها!

ثم نهضت بنفس الانكسار، متجهة إلى المطبخ؛ لأنهي أعمالي .

مع الظهيرة، كنتُ أنهيت جميع أعمالي المنزلية، شعرت برغبة تدفعني إلى التجوُّل في ذكرياتي، فذهبت إلى حجرتي، وأخرجت من خزانتي لفافة صغيرة، وجلست على فراشي، أهمُّ بفتحها، وإخراج ما بها، لكن في نفس اللحظة؛ سمعت صوت زوجي قادمًا من خارج الغرفة:

- لقد عدت يا أهل الدار، أين الغداء؟!

فعدلت عما انتويت فعله، وأجَّلته إلى حين، ودسست لفافتي أسفل الوسادة، ثم هرعت للخارج، أستقبل زوجي، وأعد مائدة الطعام .

بعد الغداء، قررت الاختلاء بنفسي مع ذكرياتي، مطمئنة لانشغال الجميع عني، فابنتي تستعد للخروج مع صديقاتها، وابني مع زوجي يهتمان بأمر (الرسيفر)، والقنوات الرياضية.

دخلت غرفتي وأغلقت بابها، سحبت لفافتي من أسفل الوسادة، وبحرص شديد فتحتها؛ لأُخرِج منها مجلة، وشهادة تقدير؛ هي لي!

أخذت أتأمل شهادة التقدير بشجن، بينما عيناي تعانق حروفها بشوق وحنين :

« الكاتبة الفائزة بالمركز الأول في مجال القصة القصيرة»

لتُّجرِّفني موجة من الذكريات السعيدة بعيدًا عن عالمي، مُلقية بي في أحضان زمن قد ولى، تغمرني بتفاصيل أحداثه التي مضت واندثرتْ.

وبينما أنا محلقة في سماء الماضي، هائمة مع الذكريات، فإذا بطرقات على باب حجرتي جعلتني أجفل، وقد أخرجتني من حالة النشوة التي صنعتها لي ذكرياتي؛ مما سبب شعورًا بالضيق جعلني أُجيب الطارق بلهجة مُتذمِّرة:

- أدخل.

لتدخل ابنتي، وتقف أمامي متسائلة، بينما تنظر للفافة التي بين يدي بشيء يسير من الفضول:

- ماما، هل رأيتِ كنزتي الزرقاء؟

- أعتقد أنها ما زالت في الغسيل.

- كنتُ أود ارتداءها اليوم!

قالتها محتجة، قلت لها، وأنا أحاول جاهدة كبح جماح الضيق الذي أُفرزه غضبًا:

- خزانتك تعجُّ بالملابس، اذهبي وارتدِ منها شيئًا آخر، فالدنيا لن تتوقف إن لم ترتدي كنزتك الزرقاء هذا اليوم بالذات!

نظرت لي متبرِّمة، وهي تنقل بصرها بيني وبين أوراقي، ثم ضربت الأرض بقدمَيْها، ودلفتْ سريعًا خارج الغرفة صافقة الباب خلفها.

لم أُبالِ لِرد فعلها غير اللائق؛ فقد كانت رغبتي في العودة لأوراقي وذكرياتي أشد من رغبتي في الجدال معها بشأن تصرفها غير المُهذب معي!

ثمّ عدت إلى لفافتي أتناول منها المجلة وأتصفحها، حتى وصلت إلى حيث نُشِرت قصتي الفائزة؛ فأخذت أتأملها باستغراق، وإذا بالباب يُطرَق من جديد، ويدخل أبني الصغير دون أن آذن له:

- ماما.. ماما!

- نعم.

- بابا يريد أن يشرب شايًا!

- حاضر، اذهب أنتَ وأنا سأّعد لبابا الشاي.

- ماما.. ماما!

- نعم

قلتها بنفاذ صبر.

- لا تنسِ موعد تدريب الكرة.

- لن أنسى.

خاطبته بعصبية أشبه بالزجر لم يشهدها مني قبلًا، فتسمَّر مكانه متفاجئًا، وقد اتَّسعت عيناه البريئة بينما يقول لي ببطء:

- ماما، هل أنتِ غاضبة مني؟!

في تلك اللحظة شعرت بكراهية شديدة تجاه نفسي؛ فما ذنب أطفالي وتلك الأحلام البائسة، سحقًا لي وسحقًا للكل عدَاهمْ!

رميتُ المجلة بعيدًا، وأسرعتُ أحتضن ابني، وأنا أُقبله بحنو قائلة له:

- لا يا حبيبي أنا فقط متعبة قليلًا.

- فلنذهب إلى طبيب.

قالها ببراءته التي تأسرني، أجبته بابتسامة :

- لا داعِ، هيا نذهب لنعدُّ الشاي لأبيكَ.

خرجنا من الغرفة معًا، لأدلف أنا إلى داخل المطبخ، بينما هرول طفلي إلى غرفة المعيشة حيثُ أبيه.

لحقت به بعد لحظات كنت أعددت فيها الشاي مع بعض»الكيك» المعد مسبقًا .

وعندما دخلت غرفة المعيشة، فوجئت بثلاثتهم، زوجي، وابني، وابنتي، يجلسون متجاورين على المقعد الكبير، يتهامسون فيما بينهم وكأنه اجتماع سريّ، وعندما انتبهوا لوجودي تطلَّعوا الثلاثة لي دفعة واحدة، بأفواه صامتة وعيونٍ واشية، فَتَيَقَّنتُ بحدوث خطب ما!

- ما خطبكم؟!

سألتُ بسرعة وتوتر، وأنا أضع الشاي و «الكيك» على الطاولة الصغيرة التي أمامهم.

بينما التفتُّ للتلفاز بحركة لا إرادية لأجده مغلقًا :

- هل تعطَّل؟!

قلتها وأنا أُوجِّه بصري صوب يدي زوجي؛ متوقعة أن أجد «الريموت» بين أصابعه؛ فألتقطه، لأجد لنفسي إجابة عن سؤالي، لكني فوجئتُ بهاتفي المحمول بين يدي زوجي عوضًا عن «الريموت»، فنظرت له متسائلة:

- ما الأمر؟! هل حدث شيء لهاتفي؟

- اطمئني، التلفاز وهاتفك بخير.

قالها وقد ارتسمت ابتسامة هادئة على وجهه، ثم أردف:

- على عكسكِ أنتِ!

- أنا؟!!

- نعم، أنتِ.

فضّ ابني النقاش القائِم بيني وبين زوجي، وهو يهتف في حماس:

- لقد أعد أبي لكِ صفحة على الفيس؛ لكي تكتبي عليها قصصك، ويقرأها الناس.

فَأسرعت أخته بلكزه لكزة خفيفة، وهي تُخاطبه مُعاتبة:

- لقد أفسدت المفاجئة.

بينما أتساءل أنا مُتعجّبة:

- صفحة، أي صفحة أنا لا أفهم شيئًا!

ابتسم الجميع؛ لعلمهم بجهلي المُطْبِق بكل ما يخص الانترنت؛ لقد كنت حتى تلك اللحظة لا أعني به، ولا أتعامل معه إلا في أضيق الحدود!

فجذبني زوجي من يدي لأجلس إلى جواره، بينما كانت ابنتي تسحب أخاها من يده صوب حجرته، وهي تقول بابتسامة واسعة:

- أبي سيشرح لكِ، بينما أساعد أنا أخي في ارتداء ملابس التدريب، وإعداد حقيبته الرياضية، قبل أن أخرج لألتقي صديقاتي.

نظرتُ لها باندهاش، فلم أعتد منها تعاونًا، أو اهتمامًا بغير عالمها الخاص؛ كشأن أغلب المراهقات! انتبهت على صوت زوجي يخاطبني:

- لقد أعددت لك صفحة على الفيس؛ لتنشري كل ما تكتبينه من قصص عليها؛ لعلَّ تفاعل الناس يُشجعك على العودة إلى الكتابة، وسأدعو جميع الأصدقاء والأقارب للإعجاب بها، أظن لم يعد لديكِ أي حُجّة! وسأساعدك في توفير الوقت للكتابة؛ فمثلا أنا من سيصطحب ابننا للتدريب!

ثم أردف بنبرة مُمازحة:

- إلا إذا تعارض هذا مع مباريات الدوري طبعًا.

أكمل كلامه بضحكة جذابة، بينما كنتُ أنظر له، وكأنني أراه للمرّة الأولى، كيوم أن جاء لمنزل أهلي للتعارف، وطلب يدي!، فَشعرت بعينيّ تغرورقان بالدموع.

نظر لي نظرة عطف، وحنان، هو يقول:

- لم تخبريني بعد، ما الاسم الذي ستطلقينه على الصفحة؟

أجبته بدون تردد:

- سأسميها «أين عمري؟»

نظر لي مستغربًا الاسم، فأردفت مُوضحة:

- فهذه الصفحة ستكون الإجابة الأبديّة لهذا السؤال!

لم يبدُ لي أنه أَدرك معنى كلامي، بينما كنتُ أنظر بابتسامة شامتة لنفسي منذ خمسة عشر عامًا، وهي تقف في أحد الأركان تذوب حرجًا، وتتبدَّد في الهواء!

تمت بحمد الله.

(دموع على الطريق)

هدير مصطفى

جلست على الأرض بجانب الطريق، نظرت إلى السيارات التي يزدحم بها المكان ،كانت تمر أمام ناظرها مع مرور الذكريات، بدأت الصور تتخلل إلى ذاكرتها، رأت أمام عينيها صورة تجمعها مع بعض الأطفال، تذكرت حينما كانت تلعب وتلهو في الأرجاء، كانت طفلة لم تتعدّ العشر سنوات؛ كم كانت جميلة للغاية، عيناها زرقاء لامعه، ووجهها مفعم بالحياة وها هي الآن أصبحت شابة يافعة، ابنة الثلاثين ربيعًا، مدت يدها علي وجهها لتلمسه بخفة وهدوء، لتتذكر نظرات الناس لها كانت نظرات خوف.... اشمئزاز .... رهبه .... رفض .... وكأنهم يسلبونها حياتها، تذكرت حين شب الحريق في منزلها لينشأ عن هذا الحدث موت أهلها جميعًا ليتركوها خلفهم علي قيد الحياة لكن مع وجه مشوه، نزلت دموعها صارخة متسائلة -ماذا يعيبني فها هو القمر بالرغم من جماله إلا أن ما به من ندوب لا يغير من هالته ونوره- نهضت عن الأرض في محاولة منها لاستعادة رباطة جأشها، أخذت نفسًا عميقًا وتنهدت مطولًا وكأنها اتخذت للتو قرارًا هامًا سوف يغير مصيرها، صارت في طريقها دون أن تلتفت لأحد وبعد دقائق معدودة وصلت إلى وجهتها .. مطعم صغير به بضعة موائد للطعام متفرقة وديكور هادئ وراقٍ، دلفت إليه تحت نظرات اشمئزاز ونفور الزبائن الذين لطالما اختبأت منهم داخل المطبخ على الرغم من أنها مالكة المطعم، لكن دائمًا ما كانت تخشى ما

تراه الآن في أعينهم، توجهت إلى ذلك الرجل الخمسيني الجالس وراء مكتب المدير لتنظر له قائله بهدوء:

- هلا نهضت من مكانك؟

نظر لها متعجبًا أمرها فهو عمها الأكبر المدعو "مجدي" المتصرف الوحيد في أملاكها بعد وفاة أهلها... منذ ذلك الحين وهو يفرض سيطرته عليها مستغلًا مهاراتها في إعداد الطعام وتمكنها من الابتكار فيه، لينسب شهرة المطعم له بحكم إدارته، طالت نظراته حتى استطاع أن يقول:

- ما هذا الهراء، أنا هنا المدير !

- لكنني صاحبة هذا المكان ..

- أظنكِ نسيتِ أني عمك...

صفقت بيدها وهي تقول في محاولة لاستفزازه:

- لا ...لكني قرّرت أن أدير مطعمي بنفسي.

قاطعها صوت قهقهته العالِ الذي امتزج بالسخرية وبعد لحظات قال:

- أنتِ تديرينه؟! بوجهكِ المشوَّه هذا كيف؟!

كانت تلك الكلمات كخنجر يُغرز في قلبها، لكنها لم تعِرها اهتمامًا فقد اعتادت الأمر فأجابته بابتسامة هادئة قائلة:

- نعم، سأديره بذات الوجه المُشوّه.

كان برودها ولامبالاتها بما قاله عمها كفيلين بأن يجعلاه يُستشاط غضبًا ليخرج مفاتيح المطعم ويضعهم علي المكتب وهو يقول:

- ها هم مفاتيح مطعمكِ دعينا نرى إبداعاتك.

ثم أعطاها ظهره فلمّا كاد أن ينصرف استدار قائلًا:

- نصف ساعة وستصلك محتوياتك، (وأردف مشيرًا بسبابته في وجهها) ابحثي لنفسك عن مكان آخر تعيشين فيه.

ابتسمت وحركت رأسها بالإيجاب بغرض أن تزيد غضبه ليزفر في ضيق، ثم تركها وانصرف لتجلس علي الكرسي خلف المكتب، تسند رأسها إلى الخلف وتعود بذاكرتها إلى الماضي منذ سنوات ولت، تتذكر حين وطأت قدماها ذلك المطعم أول مرة معه حين توجهت لتجلس علي ذات الكرسي فأوقفها قائلًا:

- أين تتجهين ؟

أجابته ببراءة:

- سأجلس على مكتبي؟

ليردعها هو بنبرة غاضبة:

- من أخبركِ أنه مكتبكِ ثم تابع بحزم "أنا المدير".

تداركت الأمر سريعًا فعادت تجادله:

- كنتَ تديره لأنني لم أكن قد بلغت السن القانونيّ، لكني الآن راشدة.

لم تكد تنهي كلماتها حتى قاطعها قابضًا على ذراعها متجهًا بها نحو المطبخ ثم قال بعد أن ترك يدها:

- مكانكِ هنا لا تخرجي منه أبدًا، وإلا سيفر الزبائن فور رؤية وجهكِ.

ألقى بقنبلته ليتركها ويخرج من المطبخ صافقًا الباب خلفه بينما تستفيق هي من شرودها علي وعد تقطعه علي نفسها بأنها حتمًا ستكون الأفضل

حتى لو واجهت الانتقاد والنفور من الناس، كانت تظن أن الأمر سهل، لكنها نسيت أن رؤيتها من الخارج تختلف عن الداخل كثيرًا، فهو في حقيقة الأمر صعبٌ للغاية لدرجة أنها قد قاربت علي الانهيار، فكل من يزور المطعم ويرى وجهها ويعرف أنها صاحبته وأنها شبه مقيمة فيه وأنه في كل مرة سيأتي فيها إليه حتمًا سيراها، كان يخرج خروج بلا عودة، كانت تري في عيونهم نظرات كثيرة ومختلفة ... ما بين شفقه ...عطف... اشمئزاز ... لكن أكثرهم كانت نظراتهم تنم عن النفور ... حاولت كثيرًا أن تتغاضى عن الأمر وأن تتعايش معه، لكن ضاق ذرعها ..... خرجت لتتنزه لبعض الوقت متأملة أن تُروح عن نفسها ولو قليلًا.... خطر علي بالها أن تزور مُدَرِّستها، التي لطالما كانت أمًا ثانية لها منذ وفاة أهلها، حتى بعد أن تركت المدرسة بعد الحادث هربًا من الانتقادات لم يُغيِّر ذلك شيئًا بينهما.....وصلت إلى وجهتها لتدق جرس المنزل، فتحت لها امرأة خمسينية العمر ذات ملامح هادئة تسر الناظر، ابتسمت عند رؤيتها فبادلتها الابتسامة هي الأخرى ومن ثم احتضنتها، دلفا داخل المنزل وبعد مرور بعض الوقت في الترحاب والحكاوي، نظرت إليها من بين ضحكاتها قائلة: ــ لا تعرف شفتاي طريقًا للابتسامة إلا برفقتكِ، ملأتِ ذاك الفراغ الذي تركه أهلي.

ضمّتها وهي تقول:

- كذلك أنا لا يؤنس وحدتي سواكِ.

سألتها بخفوت :

- ألم تحِن عودة ابنكِ بعد؟

أجابتها بنفس الصوت الخافت:

- لقد أنهى دراسته، واقتربت عودته.

توجّهت بالدعاء :

- يرجع بالسلامة .

فباغتتها قائلة:

- عندي لكِ مفاجأة .

تهلل وجهها متأملة أن تسمع خبرًا يسر خاطرها فنظرت لها بابتسامة وأردفت:

- أشرف كان يدرس طب وتخصص في جراحة التجميل.

عبس وجهها وتنهدت بخيبة أمل قائلة:

- لا... لن أعيد الكرة ثانية، لقد اكتفيت من كلام الأطباء، ولن أطرق عياداتهم مرة أخرى.

نظرت لها بحنان بالغ وأردفت:

- لا تفقدي الأمل حتى لو كان واحد في المائة.

ثم ساد الصمت بينهما لدقائق معدودة حتى كسرت حاجز الصمت لتقول في محاولة منها لتغيير الموضوع...

- لديّ مشكلة.

ترقَّبت كلماتها بدقة مستفسرة:

- المطعم، لم يعد كسابق عهده، الزبائن ينفرون من وجهي، لا أحد يأتي ويعود ثانية.

- والحلَ ؟؟

تطرقّت إليها بسؤالها لتُلقي إليها بإجابة سريعة:

- سأرتدي برقعًا، لكي يُخفي تلك الندوب.

عزمت علي إتمام الأمر وبالفعل ارتدت النقاب لتخفي خلفه ندوب وجهها، لتمر الأيام سريعًا يومًا بعد يوم، وبفضل حبها لعملها وتفانيها أصبح المطعم هو بيتها الأول والأخير، تسهر طوال الليل تحضر الوصفات وطوال النهار تعمل كمديرة للمطعم ولا تحصل من اليوم سوى على بضع ساعات للنوم ليذيع صيتها في البلد ويكتسب مطعمها شهرة لا مثيل لها لدرجة أن وجهها المشوه لم يعد عقبه تقف أمامها؛ بل بات الأمر عاديًا بالنسبة للجميع. ذات يوم كانت منهمكة في إتمام عملها فدلف إليها عمها وهو ينظر في أركان المطعم بحقد بينما توجهت له قائلة:

- ما الأمر يا عمي؟

انتبه لها وأدرك أن التي تحادثه تلك ليست سوى ابنة أخيه فنظر لها ضاحكًا بسخرية ليتحدث بصوت عالٍ، محدثًا جلبة في المكان ليلفت انتباه كل من في المطعم إليهما قائلًا:

- هل هذا الابتكار الجديد الذي تختبئين خلفه من عيون الناس؟

ثم تابع بسخرية:

- أقصد تحتمين فيه.

التفت الناس حولهما وهم يتهامسون متسائلين عن سبب هذا الكلام البغيض، بينما هي كانت تنظر إلى أعينهم التي كانت تنهشها في حين أكمل هو حديثه غير مباليًا بما تعانيه قائلًا :

- لا .....لا... لقد أشفقت عليكِ حقًا، دعينا نعقد صفقة معًا، تعودين لمكانك

وأتولّى إدارة المطعم من جديد.

تنهدت بألم وهي تنظر إلى الناس المتجمعة حولهما لتقول بضعف وألم:

- أعرف أنكم تتساءلون عن أمري، سأخبركم قصة قصيرة عن فتاة ذات عشر سنوات، احترق منزلها، مات أهلها، فارقوا الحياة جميعًا عداها، تركوها خلفهم وحيدة، حيّة جسديًا لكنّها مدفونة منذ سنوات معهم تحت الأنقاض، ثم أشارت لنفسها بألم وتابعت: تلك الفتاة ليست إلا أنا.

أنهت كلماتها ثم نزعت البرقع عن وجهها بكل تلقائية لتسمع صوت شهقات الناس حولها، تنهدت إثر صيحاتهم ثم مدت يدها إلى وجهها لتتحسسه بهدوء قائلة والدموع تنهمر من عينيها:

- ليس ذنبي..... ما أحب الله عبدًا إلا ابتلاه، وها أنا قد ارتضيتُ ذاكَ، فلماذا أنتم تعاقبونني؟

بدأت الفتيات بالتوجه إليها يمسحنَ دموعها بأياديهنّ ويحتضنَّها كل واحدة منهن لبرهة مشفقات علي حالها، بينما ألقى هو نظرة في أنحاء المطعم فلما لم يجد أحدًا من الزبائن قد خرج ولا اشمأز منها بل جميعهم متعاطفين معها، أدرك أنه لا فائدة من محاولاته فهي لن تكره نفسها مرة أخرى، خرج من المطعم تاركًا كل شيء، انتهت الأمور ومرت على خير، جلست علي مكتبها وأسندت رأسها للخلف بسبب تعبها من كثرة العمل، غفيَت للحظات لتستفيق بعدها على صوت أحدهم يناديها ...

الشاب:

- لو سمحتِ يا آنسة.

فتحت عينيها لتجد شابًا هادئ الملامح يرتدي بذلة سوداء مع نظارة طبية

تضيف علي ملامحه الرقي، تنحنحت وهي تعدل حجابها في محاولة منها لجذبه علي وجهها علها تخفى شيئًا من ندوبه لتقول..

- تحت أمر حضرتك.

ابتسم لها بهدوء ليقول بعذوبة:

- لن آخذ من وقتك كثيرًا، فقط عشر دقائق.

جلس الشاب علي الكرسي المقابل لها فسألته عن مشروبه المفضّل، بينما تحدث هو بتلقائية:

- لا أريد شيئًا ثم عرّف عن نفسه "أنا دكتور أشرف إبراهيم اختصاصي تجميل و...."

قاطعته بحدّة قائلة ...

- مفهوم وكعادة جميع زملائك، جئت لتسخر مني، وتعطيني أملًا كاذبًا في معالجتي، تريد أن تجعل مني فأرًا لتجاربكَ، أليس كذلك؟ طلبك مرفوض يا دكتور.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يحاول استيعاب ما مر به منذ لحظات ليقول:

- أظنكِ تسرعتِ في الحكم عليّ، كان حريًا بكِ أن تسمعيني ومن ثمّ تصدرين حكمكِ ثم تابع أنا مرسلٌ لكِ من طرف الأستاذة ناهد "...

تساءلت في دهشة:

- ماذا؟

بينما تابع موضِّحًا:

- مدرِّسة الابتدائي التي بقيتِ على اتصال بها حتى الآن....

أومأت برأسها كتأكيد على كلامه ثم أردفت:

- نعم ومازلنا على تواصل حتى الآن لكن أنت.....

قاطعها :

- أنا ابنها الذي وعدتكِ بمساعدته لكِ ما أن يعود.

طأطأت رأسها بخجل من هجومها عليه ثم اعتذرت عما بدر منها تجاهه، بينما تغاضى هو عن الأمر قائلًا:

- لا عليكِ، لكن يجب أن نذهب الآن.

تأمّلت ملامحه الهادئة ثم تساءلت:

- إلى أين؟

أجابها بنفس الهدوء:

- إلى المشفى لإجراء الفحوصات.

ابتسمت له ثم ذهبت معه لتجد نفسها وسط غرفة مجهزة خصيصًا لها، وفي انتظارها كانت تجلس مدرستها التي لطالما كانت لها أمًا حنونًا، تعطف عليها وتعوضها عما تعاني، ارتمت في أحضانها تبكي.

فتوجهت لها بالسؤال عن سبب بكائها، لتخبرها بأنها الإنسانة الوحيدة التي لازالت تساندها في محنتها، ربتت على كتفها مطمئنة لها مثلما كانت تفعل دائمًا، وأخبرتها بحنان:

- لطالما اعتبرتكِ ابنتي.....

- لكنني لن أُجري عمليات.

باغتتها بقرارها المفاجئ ما جعلها تُقبل عليها بنفس الملامح الثابتة:

- لطالما أخبرتكِ أن ابني سيساعدكِ، أعطه الفرصة وتوكّلي على الله.

نظرت لها والدموع تترقرق في عينيها قائلة:

- أخاف أن تفشل ويتشوه وجهي أكثر.

جاءها رده من الخلف مقاطعًا لها:

- وربما تنجح وتعودين أجمل من السابق.

نظرت له بأعين دامعة من وقع الفكرة التي طرحها عليها، لكنها سرعان ما بادرته بخيبة أمل ...

- ربما يحدث وربما لا.....

لكنه عاد يخبرها بإصرار:

- نسبة النجاح تفوق نسبة الفشل.

فابتسمت رغمًا عنها، توكلت على الله وخاضت التجربة على الرغم من كمية الخوف والقلق اللذين كانا يملأن قلبها، إلا إن حبها وأملها في الحياة جعلاها تجازف بصدر رحب وبعد بضعة أيام خرجت من المشفى، لكنها خرجت فتاة ثانية مختلفة تمامًا عن تلك التي دخلت، وجهًا جميلًا لروح أجمل، بدأت في ممارسة عملها بحب وحيوية فلم يعد بها ما تخجل منه أو تتخفي بسببه من أعين الناس.

تمت بحمد الله

خاطرة

كيف حالك يا قطعه السكر ؟

نجلاء القاضي

أطرق أبواب الذكريات أبحث في زوايا المرايا و صفحة كوب الشاي و قصاصاتي القديمة.

استنطق تلك البنايات العتيقة وذرات الغبار في أقدم طريق مر بي

استجدي عيون العابرين ربما عُلِّق بهم شيء ما من ملامح قديمة ما زال بعضها متشبثًا بالروح يؤرقها فيشتد بها الحنين رغبه في اكتمال الصورة .

كيف حالك يا قطعة السكر؟

كانت أخر كلماتك لي حين طال غيابي بضع ليال وإشراقة شمس ..

طال الغياب و ما زلت أبحث عن الإجابة ما زلت يا أماه غائبة قيد الحضور أبحث عن كيف حالي.

أنا من إسرائيل

بسمة السيد

نوفمبر 2009

لن يُمحى من ذاكرتي، كم أنا فخورة بك إسحاق!!

"زدت أمجاد العائلة بني بمنصبك الجديد سفير دولتنا إسرائيل بأرض النيل، أثق أن تاريخنا، سينقش اسمك مثلي، ستكونَ «جيمس بوند إسرائيل» بينما أنا «لؤلؤة الموساد شولاميت كيشك كوهين»"

أذكر كل تفاصيل حياتي رغم عمري الذي تجاوز التسعين، فقد ولدتُ في الأرجنتين عام1917 ميلاديًا، ثمّ انتقلتُ بعد بضع سنوات مع عائلتي إلى العراق، ومِنْ ثمّ هاجرتُ إلى أرض فلسطين، ظننت حلمي بالوطن قد تحقق عندما خطوت على ترابه، لكن هالني تمسُّك هؤلاء الأوغاد العرب بأرض الميعاد التي وعدنا الرب بها، لذا ازداد الحقد بقلبي تجاههم كُلَّما رفضوا بيع أراضِيهم لنا، هم يعرقلون مخطّطاتنا نحن اليهود، أو ربما قادتنا فشلوا في اختيار دولتنا عندما فضلوا فلسطين عن الأرجنتين؛ حدث ذلك عندما تمَّ إقرار تعاليمنا السامية «بروتوكولات حكماء صهيون» في المؤتمر الافتتاحي للمنظمة، حيث أطلق زعيم المؤتمر "تيودور هرتزل" في مدينة بازل بسويسرا يوم 29 أغسطس 1897م برنامج «بازل»، الذي ينص على أن «هدف الصهيوني هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام»

درستُ في مدرسة «إفلينا دي روتشيلد» في القدس، وأنهيت دراستي

الثانوية في عمر السادسة عشرة، كنت دائمًا متفوقة، لستُ ممَّن يَقفْنَ مكتوفات الأيدي يَشهدْنَ على سريان الأحداث، بل أنا من يُدبِّرها، ويُحرِّك الدمى خلالها؛ بحثتُ عمَّن يُقدِّر موهبتي، ولم يُخِب ظنّي بالموساد، أرسلوني للشوكة التي تؤرِّقنا وتمنعنا من حقنا في بناء وطننا، أرسلوني إلى لبنان عام 1947م تحت غطاء عملي كمندوبة لإحدى الشركات السياحية الأوروبية، أمّا مهمتي الحقيقية فكانت تهجير يهود لبنان وسوريا والعراق للتوجُّه إلى إسرائيل، خاصة التُجَّار والأغنياء.

لقد كان المال والشهرة والنفوذ صَوب عَيْنَيَّ منذ الصغر، وقد أجدْتُ استخدام أسلحتي لأحصل عليهم، فجمالي كان سببًا رئيسيًا في زواجي من «جوزف كوهين» التاجر اليهودي المشهور عام 1948م، لا أنكر أنه كان يكبُرني بنحو عشرين عام، لكن لم يكن ذلكَ عائقًا بيني وبينه، فأخيرًا هو أحد أثرياء لبنان، الأمر الذي حملني أن أنجبُ منه سبعة أبناء، لتقوية جذوري، كما أتاح لي زواجي منه فرصة الاختلاط بالمجتمع الراقي، فصرتُ صديقة كبار اليهود بلبنان، وأصبحتُ على علاقة وثيقة بكبار المسؤولين الحكوميين؛ حَللتُ أحزمة السياسيين، فتمكنتُ من فك عقدة ألسنتهم، وملكتُ القلوب فخضعتْ لي العقول، فَمَن ذا يُقاوم سحر سمراء ذكية ساطعة الجمال؟!. كانوا مطمئنين فكل شيء يحدث في سريّة تامة بمنزلي بوادي أبو جميل وَسْط بيروت، كانوا جميعًا رهن إشارتي، حتى عشية إعلان قيام دولة إسرائيل وحصولي على معلومات عن استعدادات عسكرية لبنانية وعربية للحرب ضد وطني، حينها أسرعتُ بالاتصال بالاستخبارات العسكرية لإبلاغهم وبلغت ذروة نشاطي عندما احتدَّ الموقف بين مصر وفلسطين من جهة وبين إسرائيل وكليْهما من

جهة أخرى في 1952م، فقرَّرت توسيع نشاطي بحلول 1956م، لذا اشتريتُ خمسة بيوت دعارة إضافية بنواحي بيروت، استغلَلْتُ فيها خدمات العديد من العاهرات متعدّدات الجنسية، وقد جهّز الموساد البيوت بأجهزة التسجيل اللازمة، لتصوير السياسيين في غرف النوم، كما استأجرت مطعمًا في شارع الحمراء في بيروت، وحوّلته إلى حانة «رامبو باب» ليتسنى لي استقطاب السياسيين والموظفين اللبنانيين والسوريين؛ ساعدتُ في تنفيذ العديد من الأعمال لدفع اليهود طبقًا لمخططاتنا للهروب من بلادهم إلى إسرائيل من خلالي في جنوب لبنان، استطعتُ وحدي تهريب أكثر من ألف يهودي إلى أرض الميعاد، حيث كلّفني الأمر حرق بعض المحلات التجارية الكبيرة، وإشهار إفلاس بعض المصارف، ولم أكتفِ بذلك، فقد أردت بثّ الرعب في قلوب اليهود البُسطاء، لذا دبرتُ العديد من الاغتيالات لبعض الشخصيات اليهودية الهامّة التي لم تكن سوى عائقًا أمام مخططات الموساد، لكن على الرغم من ذكائي الحاد إلّا أني لم أنتبه أنني أصبحتُ في بؤرة الضوء إثرَ فقدان وزارة المالية لعدد كبير من الأوراق وتزوير بعض الطوابع في 1961م، مما دَفع الشرطة القضائية والمكتب الثاني «مخابرات الجيش» للتحرّي عمّا يحدث، كان ذلك خطئي الذي لم أسامح نفسي على اقترافه إلى الآن، فقط لو كنت حذرة كفاية لكانتْ غَنِمتْ إسرائيل أبناءً وأموالًا أكثر، باشرت الحكومة اللبنانية التحقيق في أمر الطوابع، وانتهت التحقيقات بعلامات استفهام حول أحد أعواني «محمود عوض» حيثُ تمّ وضع ذلك الأحمق تحت المراقبة، فاكتشفوا علاقته بي، وبعد أسابيع من المراقبة، أمر الكولونيل اللبناني «عزيز الأحدث» بمداهمة منزلي بقيادة ضابط المخابرات اللبنانية «جورج بركات»، وتم اعتقالي أنا وزوجي في أغسطس عام 1961م، أفرج عن زوجي بعد عدة أيام فقط، بينما حُكم عليّ بالإعدام، لكن خُفِّفت العقوبة إلى السجن عشرين

عامًا عندما تولى الدفاع عني رفاق الليل والسمر خشية فضح أمرهم، ولم يتخلَّ عني الوطن، فقد استطاعت دولتي بعد حرب يونيو 1967م إطلاق سراحي مقابل الإفراج عن بعض العسكريين الأسرى، كنت مقابل ثلاثة ضباط طيران سوريين وعدد من المساجين العرب، وها أنا عدتُ إلى وطني القدس لأجني ثمرة نجاحي، يتطلع لي الجميع بمنتهى الفخر.

فأنا «الأم الحنون»، «شولا كوهين»

تمت بحمد الله.

المنبوذ

سارة هجروس

في إحدى ليالي الشتاء العاصفة، في إحدى حقول مدينة المنصورة كان يوجد منزل قديم مكوّن من طابقين، تقطنُ فيه امرأة وزوجها وفتاة طائشة تحاول إغراء ابنهما ليتزوجها وما هي إلا مجرد عاملة في تلك الحقول التي يمتلكها الرجل، ورغم أنها تعمل بمقابل مادي ليس بالقليل لكن حب المال والطمع قد سيطرا عليها بالكامل وها هي الآن تنفذ مخططها الذي استغرق شهرين لتنفيذه وذلك الشاب المدلل وحيد والديه لم يكن لِيرفض عرضًا كهذا أبدًا.

بينما كان صوت البرق يضرب في السماء كل من يسمعهُ يَخِرُ راكعًا خشيةً من الله كانا هما يعيشان لحظتهما الوردية غير مباليين للعواقب كلاً منهما يريد أخذ ما يريد؛ غير عابئَيْن بتلك الفِعلة الشنيعة التي يهتز لها عرش الرحمن.

عودة إلى الوقت الراهن....

إياد فتى الثمانية عشر ربيعًا ابن ذلك المليونير يجلس في إحدى منازل العشوائيات بِمدينة الإسكندرية يجلس وحيدًا في إحدى الغرف منكبًا على مجموعة من الأوراق مُلتقطًا قلمَه يُدوّن عليها.

«أنا إياد.. أنا ذلك الفتى المنبوذ، ولا أعلم لماذا؟!

الجميع يخافونني ويبعِدون أطفالهم عنّي أتذكّر ذلك اليوم؛ عندما بلغتُ من العمر ثمانِ سنوات، عندها كنت ألعب مع الأولاد من سنّي، ثم رأيت أم أحدهم

تُهرول باتجاهنا «السيدة فتحية»وفجأة دون مقدّمات أمسكتْ يد ابنها ونهرته!!

لم أعلم حينها لماذا، وعقّبتْ بجملة لم أفهمها، لكنّها لا تزال عالقة في أُذنيّ:

- ألم أُحذّركَ ألّا تلعب معه؟ إنه ابن حرام، انتظر لأُخبر أباك وشاهد ما سَيَفعل بِكَ.

«ابن حرام.. ابن حرام» لا يزال صدى الكلمة يتردّد في أُذنيّ إلى الآن؛ كم هو مؤلم ذلك الصدى اللعين.!

«أفقتُ من شرودي فإذا بي أُفاجأ بعدد من السيدات بل لِأصدقكم القول معظم نساء القرية يتقدّمنَ نحوى متجهّمات، تكسو وجوههنّ علامات الغضب، لقد أرعبنَني كوني طفلًا ذا ثمانِ سنوات، فَأخذتُ أعدو تجاه منزلي دون أن ألتفِتْ إلى قدومهنّ خلفي؛ بينما هنّ كنّ يُسرعنْ الخطى ويُشرنَ نحوي.

لقد أنهكني العدو حتى وصلت إلى منزلي بالكاد ألتقط أنفاسي، أغلقتُ الباب خلفي، واتّخذته حصنًا لحمايتي، وبصعوبة بالغة استعدْتُ أنفاسي الهاربة ،فَإذا بأمي تسألني «ما بِكْ؟ لمَ خرجتَ؟ وما شأن تلك الضوضاء خارج المنزل؟» ثم توجهتْ إلى النافذة وعندما أزاحت السِتار صرخت من هَول المشهد وأسرعت إلى الهاتف، بينما أنا تملّكني الفضول فذهبت إلى النافذة لِأرى ما أَفزع أُمي حدَّ الذعَرْ؛ إنهُنّ سيدات القرية مجتمعات يُرافقهنّ رجالٌ لا أعلم متى حضروا يُطوّقون منزلي من الخلف ومن الأمام.

لقدْ قامتْ السيدة فتحية وزوجها بِإشعال الفتنة بين النساء والرجال تبًا لهم جميعًا؛ لذا اجتمع كلُ من النساء والرجال هاتفين «ارحلوا أيها الزانيان

...ارحلوا مع ابنكما الفاسد!!"

ثمّ تدافع الرجال يحملون جذع شجرة عملاقة ويدفعون بكل ما أُوتوا من قوة، وإذا بأمي تُحضر جميع مجوهراتها وما تمتلكْ من أموال، وتجتذبني من يدي بشدّة مُتجهة صوب الباب الخلفي، ولكن هيهات فتلك العقربة صاحتْ بأعلى صوتها «ها هي الزانية تهرب مع ابنها أمسكوا بها»

بينما سِرنا بخطواتٍ واثقة ولَم تلتفتْ أمي إلى صيحات تلك اللعينة حتى اختفينا في حقل الذرة وعندما وصلنا إلى آخر الحقل حيث كان ينتظرنا أبي؛ دلفنا سريعًا إلى السيّارة وابتعدنا تاركين خلفنا منزلنا الذي ترعرعتُ فيه منذُ ولادتي...

بعد أن تركنا منزلنا قطنّا في القاهرة حيث لا يعرفنا أحد، كنتُ قد بلغتُ السادسة عشر من العمر عندما سمعتُ في إحدى الليالي همسًا يأتي من غرفة والديّ فتسلّلتُ واتجهتُ ببُطء تجاه الباب حتى استقرّت أُذناي على باب الغرفة كجهاز تنصُت؛ فإذا بأمي تضع خطة نافذة للاستيلاء على تركة جدي فهي لا يكفيها ما تمتلك! لذا لم تكن نار الفتنة تنفك عن الهدوء في نفس أبي وجدي حتى تقوم هي بإشعالها ثانية، وبعد مضي عدة أشهر على ذلك الحديث؛ وجدتُ أبي وأمي يجلسان مع جدي في منزل العائلة التي لم يتبقّ منها سوى جدي ونحن، فَجدتي قد تُوُفيت بعدما علمت واقعة ابنها مع العاملة «أمي» لاسيّما عندما قرّر جدي تزويجهما تجنبً للفضائح التي كانت ستُحدثها أمي؛ لم تتحمّل جدّتي وقع الصدمة على آذانها فتوقّفت عضلة القلب عن العمل وصعدتْ الروح إلى بارئها.

بعد عدة دقائق من متابعتي للحديث، استعر الحديث بين أبي وجدي بمُعاونة أُمي، وازداد جدي حنقًا على أمي قاذِفًا إيّاها بوابل من الإهانات «أيتها

العاملة اللعينة ماذا تريدين بعد؟! ألم يكفيكِ ما أخذتِ؟! تريدين سلب ابني أيضًا أيتها اللعينة؟»

وإذا بصفعة مُدوية على وجه أمي أسقطتها أرضًا فأسرع أبى بدفع جدي بعيدًا ليساعد أُمي؛ لكن لسوء الحظ عندما دفعه سقط فاصطدمت رأسه بالطاولة وخرّ صريعًا غارقًا في دمائه، وعلى الرغم من تلكَ الفاجعة إلّا أنها لم تُوخز نبضة في قلب أبي، لقد تمكّن من تدبر الأمر والسيطرة عليهِ

واستطاع بدهائهِ الشديد إقناع الناس أنّ العجوز وافتهُ منيّته وهو ساجد، الصدفة المحضة خلفتْ لِأبي ثروة هائلة، تركة جدي كاملة أصبحت تحتَ قبضتهِ ولازالتْ والدتي لم تحصل على ما تريد!!!.

إنّه السابع عشر من قطار العمر نفس الصراخ يتكرّر، ضجيجُ يصدر من خارج غرفتي، لذا توجهتُ إلى مصدرهِ لِأفاجأ بأبي يصفع أمي صفعة شديدة فجّرتْ غضبها، وقامَتْ على إثرها بإشهار سبّابتها في وجهه تُهدّده بإبلاغ الشرطة؛ ما أن أدارت ظهرها نحو الباب حتّى التقط أبي مزهرية كانتْ موضوعة على الطاولة وضرب بها رأسها فخرّتْ مُلقاة على الأرض تتدَفّق الدماء من رأسها كالشلاّل، لم أستطع النظر أكثر، فهرولتُ تجاه الباب تاركًا كل شيء خلفي وتوجّهت إلى أقرب محطة واستقلت قطار الإسكندرية؛ وعقب فترة وجيزة من ذلك الحدث قرأتُ في إحدى الجرائد خبر «إلقاء القبض على ابن المليونير جراء قتل زوجته واختفاء ولده البالغ من العمر سبعة عشر أعوام «وقاموا بإرفاق صورة بجانب الخبر، كانت تلك الصورة صورتي، وبعد أسبوع ونصف حان موعِد إعدام أبى رسميًا وتربّعتُ أنا على عرش أصحاب الملايين بصفتي نجل ابن المليونير الوحيد .

« سؤالًا واحدًا ظلّ مبهمًا وإجابتهُ خفيّة عني، ما ذنبي أنا؟ لكي أعيش باسم

مستعارٍ هاربًا من نفسي، لا أُبصر نهارًا، أتلصّص ليلًا متخفيًا كاللصوص أسير على حين غفلة من الناس.....

ما ذنبي أنا إذا كان والديّ قد أخطآ؟ ما ذنبي أن أعيش منبوذًا ينظر الناس إليّ كأني آفة يجب القضاء عليها؛ أقسم لكم أنّي لم أختر كيفية مجيئي إلى الحياة الدنيا ولَم أختَرْ والديّ، ومن منكم فعل؟ .

ومادمتُ منبوذًا فَلْتتركوني وشأني فقط، لا أريد منكم شيئًا سوى ذلك؛ دعوني أعيش في سلام....

ألم يكفكم أنّي ابن مجرم بجانب كوني غير شرعي؟! أرجوكم كفى لأنني إنسان مثلي ومثلكم واحد جميعنا من آدم وآدم من طين، لذا لا أريد سوى بعض الاحترام.

تمت بحمد الله.

الوعد الصامِتْ

زينب محمد

المقدمة

«أنا أقربُ إليكِ من نفسكِ بل أنا نفسكِ التي تندمج معها روحكِ؛ إياكِ أن تنسِيني»

××××

كَانتْ أسيرة وحدتها تسير في درب المجهول يأخذها الحنين تارة، وتارة أخرى يغزوها التمرّد عليه، تترنَّح بين كِلَتا الوجهتين ليس لها وجهة معلومة لتستقبلها، كرحّال تائه في أرضٍ فضاء لا يعرف من أين جاء ولا إلى أين يعود أدراجه.....

تتساءل بين الحين والفينة هل ما أفعله صائبًا أم خطأً؟

هل أرتكب بحقّ نفسي جرمًا؟... ..

أحقًا أُؤذي نفسي؟..

تتحدث كثيرًا وكثيرًا، فلا تجد جوابًا؛ ما من شيء يفسر معاناتها التي قاربت أن تفقد معها نفسها، وأبرز ما يدل على ذلك ملامحها التي باتت تعجز عن تمييزها، عينان ناعستان تحيطهما هالات سوداوية كظل العيون، يجعلانها لا تقل نظيرًا عن امرأة في الثمانين من عمرها، وجه شاحب وشفاه باهتة وعقل مغيّب يعيش في أمسه ولا يعي شيئًا من أحداث حاضره، كلما انفردت

بذاتها لتستعيد نفسها القديمة؛ قفزت صورته في مخيلتها وتوثّقت ذكرياته أكثر، تتضارب بداخلها مشاعر الحب والحنين والشجن والغضب كل يخالط بعضه، مشاعر كثيرة مضطربة تغزوها وتسيطر عليها، أحيانًا تتولّد داخلها رغبة تدعوها للبحث عنه وقتله كما وَأَدَ قلبها حيًا ثمّ تخبت تلك الرغبة سريعًا وتتلاشى؛ لتحلّ محلها أخرى تدعوها لترتمي في أحضانه وتسكن في أعماقه بين حنايا صدره، لا تنفكّ تحدّث نفسها عن عودته تؤمن به كثيرًا، تُحدّث ربّها عنه في صلاتها، وتدعو له؛ أنا أقرب لك من نفسك، بل أنا نفسك التي تندمج مع روحك إيّاك أن تنسيني؛ لازالتْ تعاني من آثار كلماته التي تحدثُ ضجيجًا صاخبًا في أذنيها، تُميتها على قيد الحياة تجعلها باردة متبلّدة كقطعة ثلج كثيفة، يتخطّاها الجميع لا أحد يرغب بها، ترتدي عباءة اللامبالاة وثوب البرود أمام كل من تعرفهم ويخالطونها، ليستْ ساذجة حدّ الفكاهة ولا هي بالفتاة الشكيّة التي تستدر عطف من أمامها، لذا تبتعد عن الجميع لئلّا تُعكّر صفو مزاجهم بكدر حياتها؛ طرقاتٌ خافتة على باب غرفتها أخرجتها من شرودها كانتْ والدتها البائسة تزفُّ إليها خبر عريسٍ جديد ربّما ليس الأوّل لكنّه حتمًا الأخير فعمرها الآن أصبح ثلاثين....

جميع من حولها يُخبرونها أنّ قطار العمر فات منذ سنوات وأنّ فرصتها في تأسيس أسرة تضاءلت كثيرًا؛ لذا قرّرت أخيرًا في نفسها أن تتركْ لعقلها فرصة الاختيار لمرّة واحدة، أخيرًا يحقّ له أن يختار مثلما اختار قلبها.

ــابنتي ماذا أجيب والدكِ بشأن العريس؟ قالتها لها والدتها وهي مُطأطأة الرأس في حزن بالغ فهي تعرف الرد مسبقًا...

« لا أريد أحدًا في حياتي أنا سعيدة هكذا» في كل مرة يكون الرد جاهزًا في قالب من الغضب غير مبرّر لكن تلك المرّة تختلف كثيرًا، لقد طغَت على

قواعد عشقها واستسلمت لقانون الحياة قائلة:

- أبلغيهِ أني أودّ مقابلته يا أمّاه.

لوهلة لم تُصدّق الأم ما سمعته ظلت واقفة تترقب ما سيُقال بعد، كررّتها على مسامعها ثانية حتى استوعبت جيدًا ما سمعته ووعته أذناها، تهلّلت أسارير وجهها وعمّ الفرح ثم دلفتْ سريعًا نحو غرفة الوالد لتخبره بقرار ابنتهما.

بينما بقيت هي بغرفتها بين نزاعين، تُصارع قلبها وعقلها في آن واحد تمطرها المشاعر كقطرات الندى، يتولّد بداخلها شعور جديد يجذبها جذبًا تجاه ذكرياته، يسيطر عليها كمعتدٍ يقذف بأحدهم في بئر غائر ولا يكتفي بذاك بل يلجأ إلى إغراقه، لا تعلم هل هو بئر الحنين أم الاشتياق!! أهو مجرّد شعور تحسه أم صوت الندم يُخبرها أنّها باتَتْ مذنبة بحقّه؛ لتثور على ذلك الصوت بداخلها قائلة:

- ثمّ ماذا يا أنتَ ألا تتركْ لي أدنى فرصة حتى لكي أختلي فيها بنفسي؟! لماذا تعلّقتَ بقلبي إذا كنت ستتركني أعاني وحدي؟ لماذا تركتني وحكمت على قلبي بالموت وأسرت روحي معكَ وجعلتني شريدة في موطني غريبة في دياري؟ لماذا لم تخبرني منذ البداية أنّك لن تبقى معي لن تألف روحي ستغادر وتهديني ذكرى موجعة تُنغّص عليّ ليلي وتصيبني بوابل من الاكتئاب؛ أنتظر.... وكنتُ سأنتظر أكثر وأكثر حدّ المشيب أو الموت... تعلم جيدًا أنّني لم أكن لأمانع ذلك، لكنّك لم تسمح لي حتى بانتظارك لازلتُ أذكر لقاءنا الأخير؛ لازالت كلمات موظّفة استقبال المطار تخترق أُذنيّ.

«النداء الأخير للمسافرين على متن الرحلة الجويّة رقم 375 المتجّهة إلى المملكة العربية السعودية»

- كلماتها ثقبَتْ آذاني وقبضتْ روحي وأغارَتْ على وجداني، كنتُ أقف ذليلة كما لو أنّي ارتكبت جناية وأنتظر عقوبتي ولم تأخذك بي الشفقة لكيْ تَعفو عنّي وتعود أدراجكَ معي، انتظرتك تلفظ كلمة واحدة لكن بلا فائدة فقط «الوداع» تلك الكلمة التي أحدثت طنينًا بأُذني لسنوات .

إنّه السابع من الشهر ذلك اليوم الذي سيحضر فيه صاحب النصيب كمّا يدّعون حاولتُ بكل السُبل أن أتفادى ذلك التاريخ لكني أخفقت وها هي بضع دقائق معدودة وسيُهدم السور الذي وضعته حائلًا بين قلبي وبين كل غازٍ، بضع ثوانٍ قليلة وسيُحطّم قلبي وتَتهدّم جدرانه ويتهاوى ساقطًا عند قدميّ؛ والآن ماذا هل أُخبر أمي أني لا أريد أحدًا في حياتي للمرة المائة؟..... . أم أصارح أبي أن قلبي أسيرُ ببلدٍ بعيد؟.

- هلّا تفتحين الباب يا ابنتي، ألا تسمعين الجرس يبدو أنّه العريس المنتظر!!

وضعت يدها على قلبها هامسة: «أسمعتَ أمي؟ أنا سمعتها لكني لازلت أقف مكاني كلما حاولتُ أن أُقَدّم قدميَّ تباطأتُ وعدتُ أدراجي»....

- سأرى من الطارق.

أسمعتَ والدي يبدو سعيدًا للغاية، همّ لفَتح الباب، بينما أنا حمدتُ ربّي أنّ الطارق لم يكن سوى أحد عمّال خدمة توصيل الورود»...

حمل والدها بوكيه الورد بين يديه وهو يشير إليها قائلًا:

- يبدو أنّ لديه ذوقًا عاليًا أظنّه من سُلالة أصيلة، وتدعو الأم بقولها جعله الله من نصيبك يا ابنتي.

بينما هي مستغرقة في حديث نفسها ــ «أرأيتَ تلك الورود التي أرسلها وددتُ لو كانت منك لأقبّلها، لكن لا علاقة لي بكل ذاك أنا أهيمُ في واد آخر،

عيناي مُعلَّقة على بندول الساعة ذاك العدو اللدود الذي يعدو سريعًا كما لو أنّ هناك من يعدو خلفهُ، أتعجبُ منه لو أنني أنتظر خبرًا سعيدًا لتحوَّل إلى عجوز كهل يتوكَّأ عصاه وربما يدركه الموت قبل بلوغ وجهته»....

قطع والدها خلوتها عندما أشار لها بالجلوس قربهُ ليُلقي عليها بعض الكلمات التي كان مغزاها باختصار شديد «ابنتي لن أحيا لكِ أكثر ممّا حييتُ وأعلم أنني أحسنتُ تربيتكِ، غرستُ فيكِ الفضيلة ومكارم الأخلاق، وحان وقت حصادهما أُحرّركِ من كافّة القيود لتفعلي ما تريدين لكن عليكِ أن تتحمّلي تبعات ما ستفعلين».

حَسمت أمرها بعد تلكَ الكلمات التي ألقاها والدها واستأذنته لثانيتين، دلفتْ فيهما إلى غرفتها تتفحّص دفتر يوميّاتها الذي يحمل ذكرياتها ويُشاركها أسرارها تحسّستْ دفّتيه يمينًا ويسارًا، في الجانب الأيمن قلبًا مشطورًا نصفين كانت قد رسمتهُ؛ بداخل أحد شطريه R (ريهام) وبداخل الشطر الثاني A (أحمد) يتقابل سهميهما وينتهيا عند كلمة «حب» ربّما لم يخبرا بعضهما بها قط لئلا يقعا في منكر، لكنّها نقشتها على دفّة دفترها بكل إخلاص، يقابله في الجانب الآخر وردة باهتة ذبلتْ واصفرت أوراقها وبهتت ألوانها وتطاير عبيرها لكنّها مُهداة من روح ألِفَتْها؛ أغلقتْ الدفتر ثانية وهي تعتزم تلك المرّة أنها ستغلقه للأبد، وخرجتْ على صوت جرس الباب حتمًا تلك المرّة ذلك نصيبي؛ قالتها لنفسها والذعر يُسيطر عليها حتى كادت أن تهوي أرضًا.

استقبله والدها ووالدتها ووقفتْ هي بجانب والدتها وجهها تجاه الأرض وعيناها تنظر إلى موضع قدميها، صافحتهُ عندما مدّ يده ليصافحها فهي لا تصافح رجالًا ألبته، لكن لم يكن ممكنًا أن تحرجهُ وهو في ضيافتهم، سار هو

مع والدها تجاه غرفة الصالون بينما اتجهتا هي ووالدتها تجاه المطبخ لكي تُحضرا المياه الغازية وبعض الحلوى، ثمّ اتجهتا إلى حيث يجلسان لكنّها تلك المرّة تفاجأت بقدمٍ أخرى بجانب قدم العريس لا تعلم متى قدِم صاحبها وكيف لم تسمع رنينَ الجرس!!!!!

تغاضت عن الأمر ولم تفكر كثيرًا فأخيرًا هي لم تنظر حتى إلى وجه ذلك النصيب حينما صافحها لقد استحيت كثيرًا فكيف تجرؤ على النظر إلى ذاك الآخر، ما إن وضعت الأشياء على الطاولة حتّى همّ الرجل بالخروج وخرج معه والداها لتجد نفسها وحيدة داخل حجرة الصالون ترافقها أنفاس دافئة وصاحب القدم الأخرى المجهول الهويّة، أدركتْ حينها أن الضيف الأول لم يكن صاحب النصيب وإلّا لتركوها معه هو؛ فجلستْ على طرف أحد الكراسي تكاد ترتكز عليه ثم خيّم صمت تام، خلَتْ معه الغرفة تمامًا من الأصوات إلّا من صوت أنفاسها المتلاحقة، حتى صدر صوت المجهول موجهًا حديثه إليها « أخبريني عمّا تفعلينه الآن؟ عملك وحياتك و..... و... .و...»كان يتكلّم بسرعة رهيبة لكنّها لم تنسَ صوتًا سمعته يومًا قط؛ رفعتْ بصرها سريعًا تجاهه لتتأكد أنّ حدسها لازال بخير.

أحمد!! قالتها بعيون متفحّصة بينما تنهّد هو وأخرج آهة مكتومة:

- آه... ..أخيرًا قُدّر لي لقاؤكِ، أخيرًا ستنتهي أيّام البؤس وستُنيرين حياتي وتعود شمسي تشرق من جديد، يا آلله كم تعذّبت وكمْ دعوتُ لأجل تلك اللحظة! كم ناجيتُ ربي احفظها لي، كم من صلاة شكرٍ أقمتُ، كنتُ أردّد في كل ركعة من ركعاتها أن تكوني نصيبي.

ردّتْ عليه بجفاءٍ شديد لم يعهده رغم اشتياقها له إلّا أنها أخبرته بكل حزم:

- لو كنتُ أعلم أنك العريس المُنتظر لكنتُ رفضتكَ ولا كلّفتك عناء شراء الورود والمجيء في عقر داري.

نظر إليها متعجبًا مستفهمًا:

- لماذا تقولين ذلك؟ هل ترفضينني؟!

لم تستطع كبح مشاعرها أكثر فأجهشت بالبكاء كطفلة صغيرة تشتاق والدها وتعاتبه على طول الغياب وبدأت تسرد عليه معاناتها وتقصُّ عليه تفاهات زميلاتها وزملائها في العمل كلُ يعترض طريقها حتى رئيسها الذي لا ينفك يتحرّش بها، وإن لم تواته الفرصة يؤنبها ويعنفها أمام زملائها وزميلاتها، إحدى جاراتها لم تكن تَجلب لها سوى المطلقين والأرامل كعروض زواج فاخرة، ولم تنسَ جملة إحدى القريبات القاتلة التي ألقتها على مسامعها في حفل زفاف ابنتها عندما قالت:

- كنتُ أودّ أن أقول عُقبى لكِ لكن أظنّ أن القطار فاتكِ منذ زمن ليته يعود وتُدركينه من جديد، حينها تشبثي به جيدًا ولا تُفوّتيه.

قتلتها تلك الكلمات لكنّها قابلتها ببرود شديد وابتسامة مصطنعة وحكمتْ على دموعها أن تبقي أسيرة محجريَهما حتى تعود إلى غرفتها الكئيبة.

أنهتْ حديثها قائلة:

- ماذا سأسرد عليكَ أكثر؟ أأسرد عليك أوجاعي وأكتوي بنار كبريائي وأتعذّب وأنا أجمع بقايا رفاتي وأتذكّر الأيام الخوالي ودموعي لا تنفكّ تنهمر كالشلال؛ لا لن يحدث ذلك كفاكَ ما عرفتَ وكفاني ما أصابني من الويلات.

ثمّ دلفتُ من أمامه سريعًا وتوجّهت نحو والديها القابعين خارج الغرفة لتخبرهما قرارها الذي لا رجعة فيه.

تحدثت بثقة :

- أبي قد اتخذت قرارًا، لا أريد هذا الزواج.

قالتها وهي تتردّد ببصرها بين والدتها وحبيبها وعيناها تقصّان ألف حكاية وحكاية فهمت والدتها مغزى نظراتها؛ وكأنها كانت تخبرها أنّه هو من كانت تنتظره في صمت، نظرات الأم كلها شفقة وحنان بينما نظراتها هي لا تنمّ إلّا عن الاعتذار، تريد أن تصرخ بينما لسانها مقيّد بما يخالف رغباتها، بداخلها أصوات كثيرة تفتك بها وتنهش من ذاكرتها، أحدهم يقول لها اعتذري لتلك المرأة التي تنام الليل وتصحو في الصباح على أمل بائس أن تجدك بجانب أحدهم تهمسين له بعض كلمات الحب ويبادلكِ بكلمات الغزل فتضحكين بدلال، تأتينها كل جمعة مع صغيركِ أو صغيرتكِ تقضيان يومًا في مرح ولهو، تحلم أن تقصّ على خالاتكِ حكايات صغيرك وما يفعله من مقالب الأطفال الساذجة مثلما كنّ يقصصنَ عليها، تتمنى أن يبيت بأحضانها قطعة منكِ تُذكّرها بكِ في صغرك وتلحّ عليها في رواية القصص وسرد الحكايات...

وبينما كانت تصارع ذلك الصوت كان هناك آخر يقتحم عقلها ويُخبرها أنّها مدينة لوالدها تودّ لو أنها تعتذر منه وتقبّل يداه حتى يصفح عنها أو تموت هي عند أقدامه....

- متى يأتي اليوم الذي أسلّمك فيه إلى فارسكِ وأقف أنا كالمنبهر الذي يتراقص على فلذة كبده التي تُستأصل دون تخدير.

لطالما أخبرها والدها تلك الجملة مرارًا وتكرارًا.

لتبرّر هي لنفسها :

- ليتني أستطيع أن أُلبّي طلبك يا أبي، ليتني أستطيع أن أتقبّله الآن، لكن كما يقولون كل شيء يأتي بعد موعده يفقد لذته ونكهته الخاصة.

حدّثت نفسها كثيرًا حتى شعرت بضغط كبير يقع على ساعدها تلاهُ صفعة على وجنتها من ذاك الكهل الذي نفذ صبره منها ومن قراراتها، فدلفتْ سريعًا من أمامه إلى غرفة الصالون لتكون بمعزلٍ عن غضبه، وذهب الآخر خلفها يتساءل عن تلك الأمانة التي كان قد تركها بحوزتها:

- آسف لما حدث بينك وبين والدك، لم أكن أحبذ أن أكون سببًا في خلاف شائك بينكما لكنّني لا أدري لمَ ترفضيني؟ لمَ وأنتِ لازال قلبكِ ينبض لي شجنًا، لازالت عيناكِ لا تعرف الكذب..... لازلتِ بريئة كما أنتِ لم تدَنّسك قذارة المجتمع؛ أخبريني سببً واحدًا يجعلكِ تتمرّدين علىَ قلبكِ وسأحترم قراركِ ولن أعترض طريقكِ يومًا.

ثم استطرد وهو يشير بسبابته تجاه قلبها:

- ألم أعد أقيم هنا؟

لم تشعر بنفسها بعد تلك الكلمات إلّا وهي تُخرج كل ما في جعبتها وتلقيهِ بوجههِ كالمياه النارية التي تلتهم ما تُقذَف عليه.

- تريد سببًا؟ سأُعطيك بدلًا عن السبب ألفًا أنت لا تصلح زوجًا لي، لا يمكن أن أحيا مع رجل يضعني دائمًا خارج نطاق حساباته، لستُ ضمن أولويّاتكَ، لا أُقارن حتى بإحدى أخواتكَ، أذكر كيف كنّ يقطعنَ حديثنا أيام الجامعة ولا يكففنَ عن طلب الأشياء على الهاتف، كنّ يعلمن بأمري ورغم ذلك لم تكن إحداهنّ تطيق صبرًا على احتياجاتها لحين عودتك إلى المنزل، وتتصل الأخرى لتسألكَ إن تركتَ لها نقودًا أم لا؟ كنتُ أحترق بداخلي عندما تمضي النصف ساعة التي تقتطعها من عملك

لتبادلني بعض الأحاديث، ويقمنَ هنّ بتخريبها وكأني ضرّة إحداهُنّ .

قاطعها بصوت أجش قائلًا:

- يحقّ لك كل ذلك، يحق لكِ عتابي، لكنهُنّ كنّ وصيّة أبي الوحيدة لم يكن ممكنًا أن ألقي بأخواتي في الشوارع لينهش لحمهنّ كلاب السكك وأعيش أنا أندم ما بقي لي من حياتي؛ لقد علمتهُنّ وزوجتهنّ وأتممتُ واجب الأبُوّة، انظري إلى ذلك الشاب الذي يجلس مع والديكِ بالخارج هذا الطبيب مصطفي أخي الأصغر لقد كان التحرّي الخاص بي كان عيني الثانية هنا يخبرني دائمًا بتحركاتكِ ويطلعني بأنبائك، صدّقيني لم تكن غربتي هروبًا منكِ ولم أضيّعها سدى ولا هباءً، كنت أتم واجباتي ولم أضعكِ خارج حساباتي، كنتِ ضمن أولويّاتي، لكِ كل الحق لكي تعيشي مثل الأميرات تُرصّعين بالماس وتُحيطكِ الخادمات عن اليمين وعن الشمال.....

ثمّ قبض على معصمها الأيمن قائلًا:

- والآن ماذا؟ ألم تحِن تلك اللحظة التي أُزين فيها الوسطى وأجعلك مَلِكتي؟.

ركع على ركبتيهِ ودنا منها هامسًا بصوت حنون:

- هلا تكوني زوجتي؟ هل تقبلينني زوجًا لكِ؟

تراجعت إلى الخلف قليلًا وعيناها تمطر دمعًا، بينما لازال هو راكعًا على ركبتيه ينتظر جوابها حتى أجابته بصوت مهموس متحشرج يكاد لا يخرج قائلة:

- بشرط ألّا تهجرني ثانية.

فهزّ رأسه بإيجاب قائلًا:

- وأنا قبلتُ.

تمت بحمد الله

بنكهة الخبز اليابس

هندباء

يا حياة عديني بحياة أو امنحيني صك غفران على ذنب لم يقترفوه، بل امنحيني راحة أتذوق طعمها، فيمحو مذاقها المر العالق بلساني، فكلما كبرت كلما اتضحت نكهته المختلطة بمرارة الأيام، لا أعلم حقًا إن كانت نكهتي من اختلطت بمرارة الأيام، أم أن الأيام هي من امتزجت بنكهة الخبز اليابس..؟

.....

تجلس في المساء تتناول طعام العشاء مع زوجها وبناتها حاضرة هي وغائبة ...

حاضرة بجسدها غائبة بعقلها تمامًا....بل تائهة وسط صخب أحداث يومها المتزاحمة بداية من تلك الجملة التي يتردد صداها في أعماقها لينتهي عند أذنيها:

- هاج...هن...هيا... أين أنتِ يا ابنتي ...؟

كعادتها تقحم اسميهن مع اسمها.. ويا ليت الأمر فقط كذلك بل يسبقانه أيضًا وكأن كل شيء في هذا الكون يتعمد استفزازها ..!!!

بصمت رهيب تناقض مع كل ما يعتمل بداخلها وما يدور على لسان عقلها أنزلت نفس الحقيبة الكبيرة التي أفرغت محتوياتها منذ يومين فقط من أعلى خزانة الملابس، وضعتها على الفراش و فتحتها ببطء، مع كل قطعة ملابس تطويها وتضعها داخل الحقيبة تضع حجرًا من صمت وأخرًا من نار على قلبها المكلوم ...

قطعة تلو قطعة يوازيها حجر وراء حجر سنوات طويلة ربما لم تنجح في أي شيء خلاف هذا السور الذي حجب قلبها وما يكمن فيه عمن حولها، وهل هناك من يجيد الكتمان أفضل منها..!!!

حملت الحقيبة بيد واحدة غير عابئة بثقلها، فعلى كاهلها ما هو أثقل بكثير، وضعتها بالصالة الخارجية واتجهت لتجلس بجوار والدتها التي خط الزمن خطوطه بإتقان على ملامح وجهها الصغير.

عينان شاخصتان في الفراغ وأطراف مجمدة كحال قلبها وهي تطلب منها أن تنتظر لثوان حتى تحضر لها سيارة أجرة من موقف السيارات الصغير بالقرية، لكن والدتها أخبرتها أن زوج شقيقتها سيرسل لها سيارته بالسائق ليقلها إلى بيتهم في المدينة، كما أنها طلبت منها أن تعود لبيتها ربما يكون زوجها عاد من العمل، وبناتها وحدهن منذ الصباح ....

ضحكت ضحكة ساخرة خافتة سرعان ما تحولت إلى ملامح مبهمة لا تعبر عن شيء، وبصوت هادئ طمأنتها أنه لو عاد زوجها من العمل بالفعل لأرسل إليها إحداهن...

تنهدت تنهيدة شقت صدرها دون أن تغادر شفتيها وهي تحمد الله أن أمها أخيرًا تهتم بشيء يخصها حتى إن كان لا يمثل لها قيمة حقيقية تمثل اهتمام انتظرته منها لسنوات وسنوات ....

تذكرت عندما سألتها عن مدة مكوثها لدي أختها..فأخبرتها ببساطة أنها لن تعود قبل انتهاء العام الدراسي، محدثة إياها عن المشكلة التي حدثت معها بسبب جليسة الأطفال وما فعله زوجها بعدما علم من الطفل نفسه أن الجاحدة عديمة الرحمة كانت تقوم بعقابه وحبسه في الشرفة مع حرمانه من الطعام.

عندها تحدثت لأمها بوجوب تفرغ شقيقتها لابنها الوحيد ولا تأتمنه هكذا مع أشخاص غرباء، بل اقترحت عليها أن تطلب منها التقدم بطلب إجازة من عملها بالنيابة الإدارية لأن طفلها بمرحلة يحتاج لرعايتها هي دون غيرها حتى وإن كانت جدته من سترعاه ..

فوجئت بصياح أمها غير المبرر وهي تعترض على اقتراحها المجحف كما وصفته ...وكيف تريد لشقيقتها بعد كل ما عانته طوال أربع سنوات بكلية الحقوق وبعد كل ما وصلت إليه أن تتخلى عن حلم حياتها الذي حققته أخيرًا بمثل تلك البساطة، لقد أوشك نظرها علي الضياع بسبب هذا الحلم وهي منكبه على الكتب والمراجع ليلًا نهارًا .

قبضت يديها وقتها بتوتر، ودت أن تصرخ بوجهها، تسألها وأين حقي أنا فيكِ؟ أين أنا من كلتاهما لقد أصبحت الأخرى طبيبة وتزوجت زيجة لا تقل عن شقيقتها من حيث الثراء والمركز الاجتماعي فما أن أنهت دراستها حتى تقدم لها أستاذها الجامعي بطلب الزواج غير مهتم حتى بمستواهم الاجتماعي المنعدم تقريبًا....

تلك الصغيرة مدللة أمها هاجر، لم تكتفِ بما نالته من الدنيا تود أن تستأثر حقها فيها، منذ أن أنجبت التوأم وهي تتعلل بثقل المسؤولية لكي تحتكِرها لديها لخدمة أطفالها.

أين هي حقًا منهن وأين حقها في أمها؟

(حتى نفسها تسخر منها... هي لا حقوق لها منذ البداية)

مجرد ربة منزل بدلًا أن تحمل حتى شهادة ابتدائية حملت الكثير والكثير من الأعباء وكأنها قررت الالتصاق بها طوال سنين عمرها حتى أصبحتا

متلاحمتين، بالإضافة إلي ذلك أيضًا لقب (زوجة عامل البناء وأم البنات) ...

كم تمقت هذا اللقب، كما تمقت نظرات الشفقة بأعين أخواتها وأزواجهن وهم يمُنّ عليها بفضلاتهن، حتى الحياة استكثرت عليها أن تنجب صبيًا...، صبي يحملهما هي وزوجها حينما يشتد عوده ويعوضهما سنوات الشقاء، لكن كتب عليها أن تدور في تلك الساقية حتى الممات، كما حكم عليها أن تكون قاب قوسين فهل هناك ضَيْم أكثر مما هي فيه؟

نفس حوارها الدائم الساخط على كل شيء، ونفس الصراع مع نفسها الذي كاد أن يؤدي بها إلى الجنون....

حضن أمها وهي تغادر بالصباح بدلًا من أن يريحها زاد من آلامها، بالرغم من أنها نجحت بمواراة مشاعر القسوة من عينيها، لكن قلبها لازال ينبض بها، لطالما نجحت في إخفاء مشاعرها عن الآخرين منذ صغرها، وتلك السيدة العجوز الطيبة بالفطرة ترجمت صمتها الدائم علي أنه رضي، غافلة عن تشنج قبضتيها الصغيرتين والعض على باطن خدها باستمرار ....

حتى حينما سلب منها حق التعليم رغم تفوقها وتم إقصاؤها من المدرسة الابتدائية الصغيرة بالقرية بناءً على طلب والدتها ما كان منها إلا بكاءً صامتًا...

رغم صمته إلا أنه حمل ألف جملة عتاب وألف جملة اعتراض على واقع اختار تلك الصغيرة قربان نجاة لأختيها، وما كان من والدتها إلا بضع جمل ألقتها، لم تكن لتفهم معناها حين ذاك، لكن الآن كل حرف فيها حفر على جدران روحها المتهالكة بحبر من القهر والمرار، لن يمحى أبدًا بمرور السنوات.... لقد سألتها إحدى بناتها يومًا لماذا لم تكمل تعليمها كخالتيها؟

لم تجد الإجابة المناسبة فنسجت قصصًا وهمية بأنها لم تكن يومًا من

محبي الكتب ولا التعليم حتى لا تسخط الفتاة على جدتها.

وسط كل هذا التزاحم الموجع بداخلها تجد السنوات تتراجع و تتراجع لتصل... لقبل ستة وعشرين عامًا..... و أمها تسألها ببشاشة:

- ألا تودين أن تصبحي أما صغيرة للصغيرتين، تجالسيهم وتشرفين على أمور البيت حتى أعود من عملي.

فسألتها الصغيرة:

- لماذا تعمل عند الأثرياء من أهل القرية وتقوم بالمهام المنزلية بدلًا عنهم؟

تتذكر سؤال إحدى معلمات فصلها (أنتِ ابنة عفاف الخادمة؟)

صمتت حينها عن الإجابة لأنها لم تكن تعلم معنى كلمه خادمة...؟

أسئلة كثيرة كانت تلقيها بين الحين والآخر على أمها دون أن تحظى بإجابة تريحها، كل ما كانت تحصل عليه احتضان أمها لكتفيها الضارعين ونظرات الشفقة بعينيها لم تعلم بما تجيب عليها... هي صغيرة فلن تستوعب لكنها كانت ترى أقرانها يعيشون حياة أفضل منها بكثير، إن قيل عن حياتهم حياة...

أم أرملة في ذروة شبابها لا تملك من متاع الدنيا شيء، سوى ثلاث فتيات صغار تحمل صغيرتهن وتجر خلفها اثنتين بثياب رثة أهلكها الزمن وطمث لونها غبار الرحيل من بلد إلى أخرى، إلى أن استقروا بهذه القرية منذ سنوات ومع مساعدات أهل القرية بدأت تندمج معهم، أجرت بيتًا ريفيًا صغيراً بدأت تعرض مساعدتها على سيدات القرية مقابل ما يتفضلون عليها بأجر بسيط، طعام تبقى لديهم أو ثياب لم يعودوا يحتاجونها حتى صارت مهنتها ومصدر رزقها.

- هيام...ربما يا صغيرتي لن تفهميني الآن ولكن أريدكِ ألا تخجلي يومًا من عملي هذا...العمل مهما بلغت بساطته لا يعيب صاحبه مادام شريفًا.

جملة أخرى علقت بجزء من ذاكرتها مع شريط ذكريات عمرها، قارب الثلاث عقود لم تنسَ يومًا ولن تحتاج لأي موقف يذكرها، فالأمر أصبح كالمرض المزمن يلازمها.... مشاهد مؤلمة متلاحقة تجلدها بلا رحمة، لتقف من جديد أمام صدى صوت لطفلة صغيرة عمرها سبع سنوات متذمرة وأمها تنتقي لها بعض قطع الخبز من تلك المحرمة القطنية .

- إنه يابس جدًا يا أمي أعطني من طعام هند وهاجر.

- يا حبيبتي أنتِ الآن فتاة كبيرة يجب أن تطيعي أمكِ، طعام هند وهاجر لا يكاد يكفيهن، مازلن صغيرات لا يستطعن مضغ هذا الخبز، بينما أنا و أنتِ نستطيع.

لتعقد الطفلة حاجبيها وتلتزم صمتها المعهود، فتقترب منها الأم مبتسمة بحزن قائلة:

- ما رأيك أن أغمر لكِ الخبز في الماء ثم ألفه قليلًا في قطعة قماش حتى يلين وتستطيعين تناوله.

تعترض سريعًا على هذا الحل البديل لتقول بنزق:

- لا يا أمي دعيه، لا تغمريه في الماء سأتناوله هكذا أفضل من ألا أتناوله نهائيًا.

لتقوم الصغيرة بمضغ قطع الخبز اليابس متحملة جروح حلقها وفمها الصغير، كما تحملت وقوفه المتكرر أثناء طريقه لمعدتها الخاوية لتعالج الأمر بشربة من ماء.

أجفلت على صوت ابنتها الكبرى لتخرجها من تلك الذكرى الأخيرة التي تصاحبها في تناول كل وجبة طعام لتطلب منها ببراءة:

- أمي من فضلك ناوليني قطعة الخبز تلك.

نظرت في سلة الخبز ومدت يدها لتناول ابنتها قطعة، لكن الفتاة هزت رأسها لتشير إلى السلة مرة أخرى:

- لا يا أمي أعطيني الأخرى التي في الأعلى تلك اليابسة قليلًا.

اعترضت سريعًا وكأنها صدمت من طلب الفتاة، اقتربت منها واحتضنتها وسط ذهول أخواتها لتقول لها والغصة في حلقها:

- لا يا حبيبتي لا تتناولي خبزًا يابسًا أبدًا ..... أبدًا.

انفلتت الفتاة من حضنها وهي تومئ بالإيجاب لتسأل أمها:

- أمي متى ستعود جدتي من المدينة؟
- لا أعلم يا عفاف ولكن حتمًا ستعود....أتمنى فقط أن تعود قبل فوات الأوان.

تمت بحمد الله.

ست الحزن

سما الشريفي

في منزل «جميلة» (تلك الحسناء الجميلة، التي تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، بملامحها البريئة الرقيقة وجمالها الذي يسُرُّ الناظرين)

قامت بإعداد غرفة النوم بأجواء رومانسيه، وأطفأت الأنوار، ثم قامت بإضاءة الغرفة بالشموع ذات العطر الفوّاح، ووضعت ما لذ وطاب من الطعام علي الطاولة المستديرة التي توسطتْ غرفة النوم، وأرضعت طفلتها حتى نامت، ومن ثَمَّ وضعتها في فراشها الصغير ثم تزينت، وارتدت أشد قمصانها إثارة، وبعد أن أتمت كافة الترتيبات، جلست علي طرف سريرها تنتظر مجيء زوجها «خالد» ،ثم شردت قليلًا في حياتها قبل الزواج منذ ثلاثة أعوام :

حيث كانت من عائلة متوسطة الحال، عمل والدَيْها بمهنة التدريس، إلي أن جاءتهما إعارة للخارج، فذهب الأب أولاً لمدة سنة وكان يبعث لهم براتبه الشهري إلي أن جمعت الزوجة مبلغًا كبيرًا وقامت بشراء منزلًا جديدًا بالقرب منهم -بل كان المنزل الوحيد بجانب منزلهم فقد كان منزلهم في منطقة شبه منعزلة -كما كان معروضًا للبيع ولظروف خاصة قَبِلَ البائع بالمال وإن كان لا يفِ بثمن هذا المنزل الكبير.

وبعدها بشهرين فقط قام الزوج بإرسال تذكره إلى الزوجة للحاق به حيث استطاع أن يُوفر لها عملاً هناك، فتركت الزوجة «جميله» و «عليّ» (أخوها الوحيد يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا)ثم سافرت للعمل مع زوجها.

أصبحت الفتاة مسؤولة عن المنزل وهي في سن الخامسة والعشرين من عمرها، ومسؤولة أيضًا عن أخيها المراهق الذي يصغرها بست سنوات.

كانت تذهب إلى جامعتها ومن ثم تعود إلى المنزل فترتبه، وتقوم بجلي الأواني وتحضير الطعام، ثم تجلس منتظرة قدوم أخاها، الذي كان كثيرًا ما يتأخّر في عودته، وعندما كانت تسأله عن السبب كان يرد معللًا أن ذلك بسبب كثرة الدروس والمذاكرة.

مرّت الأيام عليها، كأنها تعيش نفس اليوم كل يوم، حتّى ذهبت في أحد الأيام إلى جامعتها، وعلى وجهها علامات الحزن والكآبة بسبب شعورها بالوحدة والغُربة بين جدران منزلها الجديد، وأيضًا خوفها علي أخيها، كم كانت تريد أن تلقي بنفسها في أحضان أمها، كم اشتاقت إلى والديها وإلى الاجتماع بهما؟ والذي قلَّما كان يحدث، لكنها اشتاقت حقًا لرؤيتهما، فقد مرَّت سنه علي رحيلهما، كان من المفترض أن يأخذا إجازة، لكنهما تعللًا بكثرة الأشغال، ولم يكلفا نفسيهما مشقة العودة لرؤية أولادهما والذهاب، كم كانت تشعر بالحزي عندما أخبراها بعدم قدومهما، ونظرًا لحزنها لم تحضر أي من محاضراتها حيث جلست في حديقة الجامعة، شاردة الذهن، تلمع الدموع بعينيها، وبينما هي شاردة غير منتبهة إلى من يجلس بجوارها، هبطت دموعها الصامتة بلا أدنى إنذار، فشعرت بيد تمسح دموعها، ثم رفعت عينيها لتتلاقى مع عينيه العاشقة المُحبة، كم كانت تريده أن يضمها، هي حقًا لا تعرفه، لكن يكفيها ما تراه في عينيه من خوف عليها وحب لها، وبينما كان هو يبادلها النظرات بحنو وإشفاق، كانت هي تنظر له بنظره يملؤها الحزن، وكأن هناك حديثًا صامتًا أبلغ من أي كلام سيُقال .

ظلا هكذا علي حالتهم لفترة ليست بقليلة إلى أن قطع الرجل هذا الصمت

قائلًا:

- مرحبًا اسمي خالد

قالها وهو يمدّ لها يده بالسلام

فوضعت يدها في يده بتأني وردت

- مرحبًا، أنا جميلة.

- أعرف.

قالها بثقة مثبتًا نظراته عليها ليقرأ تعبيراتها .

- كيف هذا وأنا لا اعتقد أني التقيت بك من قبل؟!

- ولكني ألتقي بكِ كل يوم.

قالها وعيونه تلمع شوقًا !!!

- ماذا؟!

قالتها بدهشة ثم أتبعتها بابتسامه خفيفة:

- أتلتقي بي في غيابي؟!

نظر لها بكل ثقة قائلًا:

- نعم.

ثم صمت قليلًا مستمتعًا بدهشتها الطفولية واسترسل قائلًا:

- كل يوم بعد انتهاء محاضراتك، يجلس جسدك هنا في هذا المقعد.

فال هذا مشيرًا إلى المقعد الذي يجلسان عليه وأتبع :

- لكن عقلك ليس هنا.

وهنا نظرت إليه مطولًا ثم قالت :

- وكيف عرفت؟

أجاب سريعًا:

- لأني أُراقبك.

تراقبني؟! .. لماذا؟

- لأني أحبك منذ أن رأيتك جالسه هنا لأول مره.. وقعت في أسر عينيكِ الجميلتين اللّتين تحملان حزنًا لا يليق بهما.. أردت كثيرًا أن آتي إليكَ لأعرف ما الذي يحزنك لهذا الحد، لكن احترامي لعزلتك وجلوسك في هذا المكان البعيد عن الأنظار هو ما جعلني أُراقبكِ من بعيد) قالها مشيرًا إلى المكان حولهما حيث كانت تجلس علي مقعد خلف شجرة كبيرة بعيدة بعض الشيء عن باقي الحديقة ولا يأتي إليها الكثير من الطلاب.

كم كانت جميلة ممتنة لحديثه ولاهتمامه؛ وكم أغدقها بالحب والحنان الذي افتقدته من والديها.

وبمرور الوقت تطورت علاقتهما، وعرف كل شيء عنها وعن حياتها، وكان الأقرب إليها من بين الجميع والأحب إلي قلبها حتى من أخيها الذي باتت تصرفاته غريبة مؤخرًا، مما جعلها تشك في أمره وتقرر مراقبته.

حيث اتسعت عيناها من الصدمة حينما وجدته يدخل أحد الملاهي الليلية، وكأنه أحد الزُوّار الدائمين لها، فقد كان معروفًا من قبل الجميع، وأخذت تسأل نفسها كيف يمكن لشاب في التاسعة عشر من العمر أن يرتاد مثل هذه الأماكن، أخذت توبخ نفسها بشدة، كيف غفلت عنه هي الأخرى،

أما يكفيه عدم وجود أب يرشده وهو مازال مراهقًا، أو أمًا تصاحبه وتحنو عليه، أرادت الدخول وجلبه من الداخل لكنها خافت بشدة من المكان، فقررت الرجوع إلي البيت، وعزمت علي مواجهته عند عودته.

وعندما عادت إلى البيت ظلت تبكي بسبب ضياع أخيها وقسوة والديها، ظلت تسب وتلعن المال الذي سبب لهما كل هذا الشقاء، كم أرادت احتضان أخاها وتعويضه عن وجود الأم، لكن كيف السبيل إلي شاب تمرد علي كل شيء، وأصبح يمقت أباه وأمه اللذيْن تركاه وأخته بمفردهما لمدة سنتين كاملتين ولم يأتيا لرؤيتهما ولو ليوم واحد فقط، تذكرت ثورته عليها منذ أيام حينما سألته عن سبب تأخيره الذي أصبح زائدًا، فقال لها بصوت مرتفع يشوبه الغضب:

- إن أبي وأمي سافرا لكي يجلبا لنا المال، لكي نسعد في حياتنا، ولئلا نحتاج لمساعدة أحد (وتابع بسخرية) أليس هذا ما قالته أمي العزيزة الغالية مُبررةً عدم مجيئهما، لذا من فضلك فلتكوني سعيدة بطريقتك، واتركيني بحالي، لأسعد نفسي بطريقتي، لم أعد صَغيرًا الآن، ولست بحاجه ليكون أحدهم واصٍ عليّ.

وتذكرت حينما أخبرت والدتها بما قاله أخوها وأنها خائفة جدًا عليه فكان ردها حين ذاك:

- لا تقلقي حبيبتي، سيكون بخير.

كم شعرت بالغرابة من هذه المرأة، كيف لهذه أن تكون والدتهما الحنون ذات القلب الطيب التي تخشى علي أولادها من الهواء الطائر نحّت أفكارها جانبًا وقالت بترجي:

- أمي من فضلك فلتأخذي إجازة ولتأتي إلينا أو ليأتي أبي فنحن بحاجة إليكما.

فردت الأم بفتور:

- لا تقلقي عزيزتي أؤكد لكِ بأننا سنأتي الإجازة القادمة.

حين ذاك شعرت بأن دلوًا من الماء البارد سُكب علي رأسها، فأغلقت الهاتف وانهارت في البكاء لولا وجود خالد بجانبها وتهدئتها، ففي ذلك اليوم ظل معها علي الهاتف إلى أن نامت .

لكنها استيقظت فزعه علي صوت طرقات الباب، فبدلت ثيابها سريعًا وذهبت لتفتحه، وإذا بها تجد أخاها محملًا علي يدي اثنين من أصدقائه اللذَيْن رأتهما معه مره أو مرتين، أخذت تدور بعينيها فيما بينهما وتنظر لأخيها، الذي يبدو كالأموات...

استفاقت من شرودها على الهاتف القابع في يدها، تريد إغلاقه في وجه والدتها، لكن ليس قبل أن تقتص لوجعها وآلمها.

- ابنتي، أين ذهبتِ؟

قالتها الأم متسائلة.

فردت بغضب بالغ:

- لست ابنتك، لا أعلم من أنتِ، أنتِ عارٌ علي النساء، لا تستحقين أن تسمعي كلمة أمي، سنتان .. سنتان كاملتان ولم يدق قلبكِ شغفًا أو شوقًا لرؤيتنا، أخبرتك مرارًا وتكرارًا إننا بحاجتك، لكنك لم تحركِ ساكنًا، أكرهك، أكرهك بشدة كما لم أكره أحدًا من قبل.

كانت تتحدث وصوتها يعلو بالبكاء، وعلي الرغم من أن خالدًا كان

يسمعها إلا أنه أرادها أن تخرج كل ما في جعبتها من هموم وأوجاع، لذلك قرر عدم التدخل؛ بينما تقطع قلب الأم من هذه الكلمات وقالت بهلع:

- ماذا حدث لكل هذا ؟!

ردت بسخرية من بين بكائها:

- اليوم تسألينني ماذا حدث، لا شيء أمي العزيزة، فقط مات أخي عقب تناوله لجرعة زائدة من الهروين، وأنا مازلت علي قيد الحياة أتنفس، لكن الحياة قد انسحبت مني بموته، فأصبحت أحيا كالأموات والشعور بالذنب يقتلني، حتى زوجي لا أستطيع أن أكون الزوجة المناسبة له، فقلبي بات يخشي الفراق، أخاف فقدانه بالموت مثلما فقدت أخي، وأخاف فقدانه وهو علي قيد الحياة مثلما فقدتكما.

لم تسمع صوتًا علي الطرف الآخر غير صوت شيء وقع وارتطم بالأرض بقوة، وبعدها سمعت صوت والدها ينادي «علياء» ويظهر علي صوته الهلع، لكنها لم تبالِ، ثم قامت بإغلاق الهاتف وأجهشت بالبكاء، بينما جاءها هو من الخلف واحتضنها بشدة، وبعد هذا اليوم مرّت أيام كثيرة شِبه بعضها، كانت كثيرًا ما تبكي علي الرغم من محاولاته المستميتة لإسعادها.

مرت سنه علي زواجها منه، وفي نهاية هذه السنة رزقها الله بطفلة منه آية في الجمال فقامت بتسميتها «حياة»، وكانت حياةً فعلًا. حيث استطاعت رسم البسمة علي شفاهها من جديد، وكسرت الجليد الذي كونته علي قلبها، من قال أن فاقد الشيء لا يعطه مخطئًا، لأن فاقد الشيء يعطيه بسخاء، فمنذُ ذلك اليوم، أقسمت أن تكون نعم الأم لابنتها، ونعم الزوجة لهذا الرجل الذي لم يتركها رغم فقدانها لرونقها، ورغم قسوة كلامها، وخوفها المستمر، وكان كثيرًا ما يطمئنها .

بعد ولادتها «لطفلتها» بثلاثة شهور جاءها جواب من الخارج، ففتحته وإذا بها تفاجأ من محتواه، (أن والدتها قد توفيت بعد أسبوع من وفاة أخيها، وأن أباها لازم فراش المستشفى لمدة ستة أشهر حزنًا على ابنه وزوجته، كان كل ما يريده هو رؤيتها، لكنها قطعت كل الطرق التي توصلها بهم، واختتم الجواب بوفاة أبيها منذ أسبوع، وأن آخر ما لفظه هو سامحاني، سامحني بني لقد أضعتك، سامحيني ابنتي، أرجوكِ)؛ كان الجواب مرسلًا من صديق لوالدها بالخارج، ومعه ورقه صغيرها يخبرها فيها بأن تأتي قبل نهاية هذا الشهر لتستلم إرثها الذي تركه والدها، وأنه في حالة عدم مجيئها سيذهب هذا الإرث إلى دور الأيتام والمُسنّين.

بكت كثيرًا كما لم تبكِ من قبل، فقد أصبحت اليوم يتيمة فعلًا، بكت خوفًا على والديها من العذاب .. اللذَيْن غرتهما الحياة الدنيا بزينتها الزائفة، فمهما ادّعت القسوة، فقلبها لا يستطيع كرههما.

عزمت أمرها علي ألّا تذهب لأخذ المال، لعله عندما يذهب لدور الأيتام والعجزة يشفع لهما ولو قليلًا عند الله، ويتقبله الله في ميزان حسناتهما.

قررت أن تنسي ما فات فقد أرهقت مشاعرها كثيرًا، قررت الحفاظ علي بيتها وزوجها، وألا تعطي الفرصة لخوفها مرة ثانية أن يمنعها من أن تعيش سعيدة مع هذا الزوج الذي عوضها الله به .

فاقت من شرودها علي صوت فتح الباب، نظرت إلى ساعة الحائط فإذا بها الثانية عشر، (أمعقول جلست لثلاث ساعات متواصلة هكذا) قالتها بدهشة، ثم قامت واتجهت إلى باب الغرفة لتفتحه، فإذا بزوجها يفتحه ويقف متسمرًا عند بابها، ليراها بأبهى وأجمل حالتها، كما لم يرها من قبل، فقال لها بمُزاح:

- أهذه شقة خالد المصري؟

كانت في قمة ارتباكها وخجلها، لم ترد عليه، وأخذت تشد في طرف قميصها، وهي تقول لنفسها:

- ألست أنتِ من قررتِ ذلك، فلتتشجعي يا فتاة، إنه زوجك، لا داعي للخجل.

تفاجأت به يردّ كلمتها:

- أجل، ورب السماء أنا زوجك يا فتاة.

فوضعت يدها علي شفتيها بتلقائية، لم تكن تدري أنها تفوهت بما تفكر به، اقترب منها ببطء، واحتضنها، وعندما همّ ليقبلها بدأت الصغيرة بالبكاء، فارتد للخلف وقال بضيق مصطنع:

- أعلم حبيبتي إنكِ موجودة، فلا داعي للبكاء، فلتغلقي عينكِ قليلًا أرجوكِ، أريد أن أخبر والدتكِ سرًا.

انفجرت هي بالضحك من طريقة حديثه، فنظر لها بحنق وقال:

- أسعيدة أنتِ الآن؟

طوقت رقبته بذراعيها ونظرت إلي عينيه ثم قالت بهيام:

- نعم سعيدة جدًا، فكيف لي ألا أكون سعيدة ولِي زوج مثلك .

- أهناك من لعب بجيناتك يا فتاة، ما هذه الرومانسية، سوف أموتُ منكِ قريبًا بسكتة قلبية.

قالها واضعًا يده علي قلبه بطريقة دراميّة؛ فوضعت يدها علي يده قائلة:

- حفظك الله لي دائمًا وأبدًا يا حبيب قلبي.

اقترب منها، لتزداد الصغيرة بكاءً فقال:

- يا الله منكِ ستقتلينني، ألا يمكنك الهدوء قليلًا يا فتاة.

فطبعت قبلة علي خده الأيمن وقالت:

- فقط خمس دقائق سأرضعها، وآتي إليك سريعًا.

قالتها وهمّت بالرحيل، لكنه أمسكها من يدها وجذبها إليه قائلًا:

- ليس قبل أن آخذ قُبلتي.

وقبلها قبله رقيقه، شغوفة، تحمل الكثير والكثير من الشوق والحب.

أخيرًا: أكرموا من تحبون بكلمات جميلة، وأفعال أجمل، واعلموا أن أرواحنا خُلقت لفترة من الزمن وسترحل، فابتسموا وتناسوا أوجاعكم، فهي دنيا وليست جنه.

تمت بحمد الله....

عذابات وطنية

أحمد فتحي رزق

كانت محصلة مكالمته الأخيرة على هاتفة المعطل دائمًا، الذي يعمل بصعوبة في بعض الأحيان ومع ضجيج ميكروفون الزاوية المجاورة والشيخ المتطرف أنه على موعد مع وظيفة جديدة في عالم البزنس والتجارة حين جاء العرض من شركة متعددة الجنسيات بعد أن حصلوا على رقمه من خلال مواقعه على شبكات التواصل الاجتماعي، وكعادته فتح بعض رسائله على الإيميل فوجد عرضًا آخرا يرغب صاحبه في التواصل معه من أجل شراكة مهمة وفتح أفاقٍ أكبر أمامه حتى لامس بذلك العرض عنان السماء .

تردد كثيرًا في قبوله لكنه وافق في النهاية مضحياً بالشركة الأولى التي كان سيشغل بها منصبًا مرموقًا كاستشاريّ بمرتب خيالي، وتم تحديد موعدٍ مع شخص يوصف بالملك حسب وضعه الوظيفي كرئيس للشركة، ذاك مَن يحمل أوراقًا عدة في حقيبته المهترئة التي لا تدل على تجارة أو صناعة أو غيره.

ولأنه كان لابد من تقييم الأمر وجهًا لوجه والتحقق من كافة المعلومات التي زوده بها قبل اللقاء فقد حسم أمره وذهب ليقابله.

على الرغم من كافة التوجيهات الدينية التي أصدرها له قبل أن يراه، لكنه كان بعيداً عن تعاليم الإسلام سوى في حضور الصلوات في المكان المخصص والتأكيد على أهمية دقة العمل وكذلك المعلومات، بعد أن عرض أسماء شركات كثيرة وأنشطة مختلفة ولفظ عدداً من أسماء كبار رجال

أعمال الدول العربية والأجنبية وصفقات تجارية تمت بينه وبين الحكومة المصرية وقت أزمة الدقي.

وألبان الأطفال وصارحه بأن شركته قد حققت أرباحًا هائلة من وراءها حتى أنها تعدَّت المليارات، إلا أنه قد بدأ يساوره القلق حيث لا مقرًا مجهزًا ولا سائقًا، ووفقًا لمنصبه فتلك اللقاءات لا تصلح أن تكون بالمقاهي والنوادي لابد من مكان مخصص للبحث والعمل الجاد .

بعد أن حنث وعده مع صاحبنا الأول بإمكانية الشراكة بمساهماته العلمية والبحثية وعمله كاستشاري وأمعن في العرض الآخر وحصته النقدية منه، توجه على الفور إلى منحاه الآخر وطريقة عمله التي قد تكون غريبة بعض الشيء خصوصًا في عالم الأعمال مثل كم معلومات والتفاصيل الرهيبة عن أمور داخل مصر وخارجها قد ترقى لدرجة الخصوصية والحساسية للأمن القومي، بينما قرر الآخر أن يجربه في بعض الأمور لذا عهد إليه ببعض التعاقدات والأعمال داخل مصر وخارجها كما أن هذا الملك لديه أكثر من جنسية عربية وأجنبية وأوراق صفقات تبعث على المصداقية قليلاً، ولم يُعِر بالاً لكل ما مرَّ، فقد يكون الرجل مختلاً أو يمر بأزمة نفسية أوصلته لهذا السلوك .

أفرد له مساحة من الشفافية، ولم يستسلم لهواجسه وقلقه بعد أن سلمه أوراق العملية الأولى وهي قضية متشابكة الخصوم والأطراف تمرُّ عبر أكثر من دولة، بعد أن درسها جيدًا طلب شروطًا خيالية ومجحفة كما أصرّ أن يكون الدفع مقدمًا قبل أن يبدأ العمل، رفض صاحب القضية ذلك بعد مهاترات ومداولات كثيرة، ثم استدعى الرجل صاحبنا ذات صباح وأمره أن يتخلى عن كافة أعماله التي يمارسها كالزراعة والتجارة والتصنيع والتمثيل التجاري على أن يبدأ بفكرة جديدة وهى تسفير الشباب للخارج عبر وسائل

قانونية وغير قانونية على شرط الدفع مقدمًا، لكنه شرح له أزمة البطالة جيدًا وأقنعه أن الشاب قد لا يمتلك مالًا ليدفع في الأساس إلا بعد تنفيذ المطلوب فقد يقترض أهله سداد نفقات سفره يحاول من جهته أن يسايره ومن الجهة الأخرى يفتش خلفه عبر مصادره المختلفة وعلاقاته المتعددة، لم يجد أي معلومة تذكر أمام العديد من الأسئلة التي تدور برأسه، شخص له عدة جوازات سفر بأسماء مختلفة من يكون إذاً؟ولا يقيم بمنزل ولا يتحرك بسيارة ليس له مقر إداري لشركته إلا على الورق فقط كما أن تعاملاته تتم فقط مع جهات الاتحاد الأوروبي ومؤسسات التمويل الأخرى، كرر نفس السؤال، من يكون الرجل؟

حادثته نفسه لدقائق في أن تكون تلك فرصته للوصول للثراء فكم من الشباب بعد الثورة تغيرت حياته ومعيشته بعد العمل مع الجهات الأجنبية أو الأشخاص ذوي الطبيعة الجاسوسية والإرهابية وهو يعلم جيدًا أنه من الممكن أن يخرج ناصعًا اليدين دون أدنى مسؤولية خصوصًا مع تمتعه بذكاء حاد شهد به الجميع، ولم لا، هناك من عُين مستشارًا لأحد الوزراء وكانت بدايته ميدان التحرير وغيره هاجر للولايات وآخرَ امتلك السيارات والشقق الفاخرة ولم يدان في أي قضية، هكذا بدأ يُقنع نفسه بالرضا والقبول المبدئي، أيًا كان الأمر فقد حُرِم الكثير على مدار عمره، بدءًا من تعليمه ومرورًا بوفاة والده الذي توفي حزنًا على حجز مصلحة الضرائب على محله الصغير وأيضًا رحيل والدته التي بذلت كل غالٍ ونفيس لأجله هو وإخوته، لم ينتهِ الأمر عند ذلك بل شمل حدث حرمانه من التعيين في الجامعة رغم تقدير الامتياز، كما حُرِم أيضًا رئاسة إحدى الهيئات الكبرى، وبالطبع لم تغفل ذاكرته حدث إجباره على الاستقالة من وظيفته عندما كشف فساد مديره وبعضاً من كبار وكلاء الوزارة، ولم ينسَ حبيبته ابتسام التي كان ينوى

خطبتها بعد التخرج، استفاق من كل تلك الهموم التي أثقلت كاهله على فكرة توطدت في ذهنه «أن تلك البلاد لا تستحق أن يضحى من أجلها، كما أن عُمره الذي قارب الأربعين دون أي إنجاز يُذكر يستحقُّ الأفضل» أنهى جو الصراع ذاك الذي أنهكه كثيرًا ونال منه وراح يغطُّ في سُبات عميق.

وجد نفسه يقف مكبل اليدين مشلول الحركة على شفا حفرة سحيقة عميقة، يصرخ عاليًا لعلّ أحد المارة ينقذه دون جدوى فالكل ينظر إليه باحتقار ويشيح بوجهه بعيدًا عنه، وكأن الجميع يستمتعون بمعاناته، وبعد طول عناء وصراع مع ذاته المنهكة وجد مخرجًا يستطيع أن يستعيد عافيته وتوازنه من خلاله.

أيقظه صوت آذان الفجر الذي يُزلزل الآفاق بالاستغفار والحمد وآيات الذكر الحكيم، خشع قلبه لقوله:

«الصلاة خير من النوم»

فنهض وتوضأ وصلَّى فرضه، اطمأنّ قلبه ولان بعد صلاته فغشيته الرحمة وغزاه الإيمان لذا أعاد ترتيب أفكاره من أجل اجتماع اليوم.

ماذا أنت فاعل بنفسك أيها الشقي؟

سؤال وجهه لنفسه للمرة الأخيرة وتذكر بيت الشاعر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام

فاستغفر ربه راكعًا ثم أناب، ولم يذهب لموعده، بل قادته قدماه إلى القصر الجمهوري بالقبة ثم طلب مقابلة أحد الضُبّاط المسؤولين في ذاك المبنى العتيق الذي يبعث على الخوف والرهبة من مجرد دخوله، أجلسوه في غرفة منعزلة مضى عليه فيها بعضًا من الوقت إلى أن تمّ الاستعلام عنه وعن هويته واتجاهاته، ثمّ انتقل إلى مكتب أحد المسؤولين وأجرى لقاءً سريًا للغاية، باح

فيه بالكثير خصوصًا ما دار بينه وبين الملك، كان يتحدّث بينما الأخر يستمع له بحرص شديد، لئلَّا يُفوِّت حدثًا.....

وبعد أن أخرج مكنونه وانتهى من حكاياته أبلغه الضابط المسؤول بأنه سيغادر الآن وعليه أن يتعامل مع الملك بكل أريحية واعتيادية ويبلغهم عبر وسيلة اتصال مُحدده بكل التطورات أو التصرفات الغريبة الطارئة، خرج من المبنى بعدما أدى واجبه الوطنِي وما أملته عليه النفس الإنسانية، لكنه عاودته خزعبلات وعاد يُؤنّب نفسه كثيرًا، يتهمها حينًا بالغباء وحيناً آخر يمدحها ويبجلُها لأن ذاك ما كان يجب حدوثه.....

«لو كنت قبلت العرض الأول لكان الوضع اختلف الآن، صحيح السعد وعد يا عين»

سار يتغنى برائعة أم كلثوم ويتمايل يمينًا ويسارًا حتى ظن أنه قد حقق إنجازًا ضخمًا ولم لا فقد أثبت وطنيته ورجولته وحبه لمصر، ثم عاد إلى منزله يطرق بابه البائس كحاله، ودلف إلى شرفته المقابلة لشرفة جارته الحسناء ذات العينين الواسعتين، تلك الأرملة اللعوب التي حاول أن يداعبها كثيرًا لولا ضيق الحال فالعين بصيرة واليد قصيرة وهى من رواد الفنادق الفخمة والحانات الليلية حيث تلتقط زبائنها من هناك .

وبالطبع فقد عقله أمام تلك الجميلة بملابسها الرقيقة التي بدا طيفها واضحًا من وراء ستار شرفتها فقرر في ذاته أن يمتلكها للأبد بعد تنفيذ عمليته الأولى إلا أنه استفاق على طرقات جديّة على باب منزله، فتح الباب ليُفاجأ برجل طويل القامة ضخم البنية يحمل رسالة شفويّة...

- السيد حازم سلطان؟؟
- نعم أهلًا ومرحبًا .....

- أنا رسولك من الجهاز وأبلغك أنك مطلوب لمقابلة السيد المدير في تمام التاسعة صباحًا بعد غد ويمكنك إحضار حقيبة سفرك معك وجوازك أيضًا.

انقضى اليوم سريعًا وحلّ موعد لقاء جديد أبلغه فيه مدير الجهاز بقرار تجنيده وأن عليه السفر فورًا ليلحق بالكينج في فرانكفورت، لم تسعه الفرحة، فقام من مقعده وأدى التحية العسكرية كما ينبغي ثم غادر لإتمام أموره.

على الجانب الأخر علم الكينج بواسطة أحد رجاله أن حازم سافر إلى ألمانيا رغم تأكده أن إمكانياته لم تكن لتسمح بذلك إلا لو قبل العرض الأول الذي حكى له عنه عبر الهاتف، فمن أين أتى بتلك الأموال؟!!

لكنه لم يشك لحظة أن جهاز المخابرات المصرية وراء كل ذلك، فأعطى أوامره لرجاله بالبحث عنه وإحضاره حياً؛ فقد علم عنهم الكثير من النشاطات المشبوهة كما وعى لأسماء كبار رجال الأعمال والسياسيين الذين هم على علاقة بالشبكة وقد يكون قام بتسجيل اللقاء بهاتفة دون أن يدري أحد به.

وأثناء ملازمته لغرفة الفندق سمع شجارًا صاخبًا بين رجل وامرأة ضجيجهما حرماه النوم فاضطرّ للخروج من غرفته آسفًا لفض نزاعهما لم يدرِ بعدها إلا عندما وجد نفسه يجلس على إحدى طاولات مطعم الفندق، كيف؟ ومتى؟ لا يدرى!!!

انتبه للكرسي المقابل أمامه ليجد نفسه ضيفًا للكينج الذي بادره بدوره بالتحية وعاتبه على مغادرته مصر دون إخباره، فإن أخفق العمل والصفقات فصداقتهما باقية لم يمسّها شيء، انتهى سريعًا من العتاب بعد أن اجتاز الاختبار ولم يسمح للشك أن يتغلغل بداخل صاحبه ولو للحظة حيث أخبره أن سفره ذاك جزءًا من عمله لدى الشركة التي عمل بها لاسيّما وأن لها فرعاً في تلك البلدة، اقتنع الرجل ممتعضًا قائلًا:

- لكني أصر على وجودك معي ولابد أن يكون بيننا عمل ومصالح لقد اطمأننت لك كما أننا على وتيرة واحدة لا تحب مصر ولا المصريين وكذلك أنا وهذا في حد ذاته يُزكيك ويرفع شأنك عندنا.

وبعد تلك المناورة جلسا كصاحبين، كل منهما يحكي قصته عن النساء والخمور والمخدرات والصفقات التي لا تتم بسبب بعض المحتالين، صارحه الرجل بأن عليهما أن يتفقا على العمل معاً ووافقه تلك المرة تحت ضغط شديد، فأخذ يعرض له أوراقًا وخرائطًا مكتوبة باللغة العربية تخصُّ أماكنً حساسة بالقاهرة والإسكندرية وأهمها مناطق بكوبري القبة والقصر الرئاسي بالاتحادية بمصر الجديدة، لم يفزع الرجل من تلك المسألة فقد علم أن الرجل جاسوسًا يعمل لصالح جماعات إرهابية وشبكات جاسوسية عالمية منذ أول لقاء جمعهما.

ظلّ محتفظًا بصمته حتى أبلغه بالمخطط كاملًا ودوره بالتحديد في تجنيد الشباب عبر كل الوسائل المتاحة، سفر، هجرة، عمل، سياحة، زواج من أجنبيات، وغيره .

فهم دوره تمامًا وأخذ منه المبلغ المتفق عليه ثم غادر المكان مسرعًا، عانى كثيرًا لكي يهرب من المراقبة التي نصبها له الكينج فأخيرًا هو أصبح أحد رجاله ولا بد من رصد كافّة تحركاته، بعد أن نجح في الإفلات منهم استوقفه أحد رجال الجهاز بعد أن أقرّ بكلمة السر المتفق عليها، زوده بكل المعلومات التي تحصَّل عليها مؤخرًا، والتي كانت مُسجّلة بواسطة ساعة يد فائقة الدقة.

مر أسبوع على هذا اللقاء حيث غادر ألمانيا عقبه واتجه إلى اسطنبول وعاد من هناك إلى القاهرة، وفور وصوله إلى أرض الوطن قام بتسليم عهدته للضابط المتابع ثم ذهب في إجازة للإسكندرية ليخطط للمستقبل والحلم

الذي بات تحققيه وشيكًا وفى أثناء دخوله للمقهى الملحق بالفندق لاحظ جلبة من بعض الرواد أثارها خبرًا بقناة النيل الإخبارية عن القبض على شبكة إرهابية جاسوسية عالمية ضمّت عددًا من زعمائهم كما تمَّ التعرف على الحكومات التي تدعمها وسوف تتخذ وزارة الخارجية الإجراءات الدبلوماسية حيال ذلك، كان هذا نص البيان، فرح أخيرًا بهذا النجاح مردداً رائعة أم كلثوم السعد وعد يا عين.

وعند اقتراب موعد الاحتفالات بنصر أكتوبر جاءه استدعاء من الجهاز بالموعد المحدد للقاء وكانت المفاجأة أن يقوم الرئيس بتكريمه لشجاعته ومنحه قلادة النيل تقديرًا لمجهوداته في حماية أمن مصر ومواطنيها.

تمت بحمد الله.

ساقية الدحلاب

عرفات سعيد

جلس يستظل بنخلته التي اعتاد شرب الشاي تحتها مردداً المواويل الشعبية القديمة تحيطه الخضرة وجمال الطبيعة وأولاده من حوله يلعبون، وعلى بعد أمتار قليلة سمع صوتاً ينادي بلهجة بحراوية:

- يا حاج محمد يا حاج محمد.

محمد:

- أيوه مين بينادي اتفضلوا.....اتفضلوا يا بهوات.

حيث لمح شخصين يرتديان البِذل الغالية يترجلان من سيارة فاخرة !

ناداه أحدهما قائلًا:

- إذا سمحت تعالى هنا عايزينك.

هرول الرجل باتجاه السيارة متمتمًا بارتباك وخوف شديدين:

- يا خراب بيتك يا محمد .....يا خراب بيتك؛ دول شرطة الكهربا ولا بتوع الميه! لأ دول بتوع الجيش وقعة مربربة حيجندوني بعد التلاتين، بس دي مش عربية شرطة ولا ده لبسهم؟! اااااااه دول بتوع المخابرات يا نهار مطين وأنا امبارح عمال أسب في الريس على القهوة، اتخرب بيتك يا ...!

حسم أمره ووصل لتلك السيارة المُفيّمة؛ وبصوت مرتعش متقطع:

- أيوه يا بيه خير؟!

- أنا عملت إيه يا باشا؟!

إمتدت يد أحد الأفندية نحوه ليمسك بمعصمه ويجذبه نحو شباك السيارة هادرًا بصوت خشن:

- كلم الباشا .

بدأ زجاج السيارة بالنزول ليظهر خلفه وسيم بعمر الخمسين مشبهًا الوزراء بهيأته مرتديًا نظارة سوداء تخفي نصف وجهه كما في الأفلام .

الرجل:

- أيوه يابيه أؤمرني خدامك .

البيه:

- متخافش إحنا محتاجينك في خدمة صغيرة .

الرجل بتساؤل:

- أنتم يا باشا محتاجيني أنا في خدمة؟! خبر إيه يا ولاد الأيام بتمشي بضهرها؛ ولا القطط كلت عيالها!! سيبوني يا بيه أرمح أربي عيالي.

البيه:

- قولنالك ماتخافش إحنا عايزينك في مهمة وحتاكل من وراها الشهد .

الرجل باستسلام:

- نعم يا بيه خدامك قول .

- تعرف فين مكان ساقية «الدحلاب»؟!

ردّد (باستغراب وشرود):

- ساقية «الدحلاب!» لا يا باشا في عندينا أربع سواقي مفيش فيهم الاسم ده وعلي العموم يا باشا ادیني فرصة أدور واسأل بس الأول هي في بلدنا ولا البلد اللي جنبنا؟!

- لأ بلدكم ولو جمعتها حدفعلك اللي إنت عايزه.الرجل: خلاص يا بيه إدينى يومين ويوم الجمعة تعالوا أكون جمعتها.

- تمام خد دول وخد الكارت بتاعي ولو جمعتها قبل اليومين كلمني .

- ربنا يخليك يا بيه؛ربنا يبارك فيك ويطول في عمرك؛من يد ما نعدمها ياباشا.

ثم ركبوا جميعهم السيارة ورحلوا وعاد الرجل لكوب الشاي الذي فقد نكهته مثله وأولاده الشاخصة أعينهم والدمع يتأرجح فيهم؛ جميعهم صامتون فقط الأعين تحمل كمًا من الأسئلة التي تحتاج كراسة إجابة !

وإذا بصباح تناديهم:

- يا محمد، ياخالد، يا شهد، جبت الوكل يلا تلاقيكم حتموتوا من الجوع !

يلتفتون جميعهم ليروها تحمل صينية الطعام فوق رأسها، بوجهها القمري وإبتسامة رضا وتفاؤل، وبنظرة واحدة لوجه زوجها عرفت أن هناك أمراً قد حدث.

صباح:

- مالك وشك مصفر إنت عيان؟!وإيه الكيس اللي في إيدك ده،مالكم؟ما تردوا؟!

جلس الرجل وعقله يضرب أخماساً في أسداس!!ثم لوح بيده لها فراحت إليه مسرعة .

الزوجة:

- خير !.

الزوج:

- تعالي عايزك في كلمتين .

اصطحبها وجلسا سويا على القنايه، وبكل لهفة وانفعال:

- بقولك إيه يابت الناس إسمعيني زين، إحنا طاقة القدر اتفتحت لنا وحنكون أصحاب أطيان وعمايز، وحجبلك الكردان واللبة والحجل؛ وحنروح أحلى رحلة حوديكي الأقصر، حدلعك بس قوليلي الأول: تعرفي مكان «ساقية الدحلاب»؟!!

- ربنا يخليك ليا ياجوزي يا أبو عيالي يا سندي ياغالي روح ربنا يطول في عمرك يا سبعي .

وإذا بالزوج ينهرها:

- خلاص يابوي خلاص قوليلي الأول بس فين ساقية الدحلاب؟! أحب على راسك وراس خالاتك وعماتك وكل عيلتك إلحقيني، تعرفيها؟!

أيوه عرفاها .

- الله أكبر أبوسك ولا أشيلك ولا أعمل إيه بس أحب فوق راسك يا وش السعد يا مرتي وأم عيالي؛ طب فين دي أصلي ما أعرفهاش؟

صباح حاصلة على ليسانس آداب لغة عربية، ارتضت بالزواج من محمد الأمي وأتقنت لهجته وتطبعت بطباعه لأنه ابن عمها رضوخاً لعاداتهم؛ لذلك عندما رأت الكيس الأسود، ووجه زوجها الشاحب وتساؤلاته حول هذه الساقية التي دفن سرها مع والدها .

أخذت تربط الخيوط معًا وتوصلت لنتيجة أن هؤلاء الأفندية قد عرفوا من مصدر ما سر تلك الساقية الذي يجهله زوجها .

الزوجة:

- هو الكيس ده فيه إيه؟!!

الزوج:

- فيه خمسين باكو يا وش السعد ح نقب على وش الدنيا .
- أخدتهم مقابل إيه يا محمد؟!
- ولا حاجة كل الحكاية أني أوريهم ساقية الدحلاب
- وعرفت ليه هم عايزين ساقية الدحلاب دي؟
- وأنا مالي يا صباح أنا أقبض وهم حرين إياكش يردموها أنا مالي أوريهالهم وآخد فلوسي! فين بقى قوليلي عشان أكلمهم ويجبولي الفلوس الكتيرة ونعيش إحنا وعيالنا اللي طول عمرهم محرومين من كل حاجه زينه وإتعذبوا معانا.
- إنت مخك ناشف بقولك ما ينفعش الناس دي تعرف الساقيه، دا سر قديم واندفن وصاحبه محذرني من إني أحكيه!
- بقولك إيه علي الطلاق لو ما قلتي ما إنت باقية علي ذمتي تاني سامعه.

استشعرت صباح أن بوادر العواقب من إفشاء السر تحلق في الأفق، لكن لم يبق لها حرية الاختيار !

الزوجة:

- بقولك يا محمد يلا نروح وححكيلك سر الساقيه في البيت .

وعندما وصلوا منزلهم الريفي البسيط المبني بالطوب اللبن والمغطى بالبوص، كان الرجل قد نفذ صبره وأخذ يتعجلها لتبوح له بالسر.

××××

بدأت تسرد السر قائلة....

قبل وفاة والدي بشهر وحين اشتد عليه المرض أجلسني بجواره وقال:

- حاسس إني أجلي قرب وعايز أقولك سر، إنت عارفة عمك خلف مات كيف؟!

قلت:

- أيوه..... أيوه يابا، نهشته حية عند النخلة اللي في الحوش!

فرد الأب:

- لا يا بتتي أنا اللي قلت كدا ساعتها.

رديت عليه:

- إيه اللي حصله يابا؟!

قالي:

- يا بتتي في ساقيه اسمها ساقية الدحلاب، حصل جفاف زمان ونزلنا أنا وعمك ننضفها عشان تزيد الميه فيها، عمك وهو نازل بيحط رجله في حيط الساقية، القالب رمح لجوه، قام بإيده حاول يشوف الفتحه رايحه لفين لكن الفتحه كانت غويطه!

عمك نده علي هات الطوريه وانزلي، اتخضيت، وبدون تردد أخدت الطوريه ونزلت، فضل عمك يخبط في حيط الساقيه لما الفتحه بقت تدخل

واحد قعد عمك يشخط في الكبريت عشان نشوف حاجه مشفناش وطلعنا، لكن اتفقنا بعدها نجيب كلوب (مصباح) ونعرف الفتحة دي مودية فين وفيها ايه .

وفعلا بالليل روحنا وواحد ورا التاني نزلنا في الفتحه لقينا سلالم وحيطان عليها مساخيط ورسومات تعابين وديابه وصورة لأسد براس تعبان، المهم بعد مسافة وصلنا لأوضه لقيناها مليانه عرايس بس غالبيتهم حجر مفيش غير زلعه فيها شوية عملة دهب، وفي كتاب جلد وعصايا علي شكل تعبان وتابوت علي شكل راجل مكتف إيده وكأنه حيتكلم !

اتفقنا أنا وعمك إن محدش يعرف السر ده غيرنا وفعلا قدرنا نحافظ عليه طول عشر سنين كل ما نتعذر نجيب كام واحدة من الدهب ونبيعهم، لكن مرة أنا كنت مسافر عمك أخد مرته معاه ونزل يجيب الدهب طلع لقاها مرميه علي الأرض ورجلها بتنزف، افتكر الورق الجلد اللي تحت نزل جاب ورقة ولف رجلها بيها وأخدها وروح لكن قبل ما يوصل البيت كانت ماتت ساعتها لما سألوه الناس، قالهم حية نهشتها ولما أنا رجعت حكالي اتلخبطت!.. لكن نسينا مع الأيام، ولفت السنين والجوع زاد يا بتي افتكرنا أنا وعمك ساعتها نرجع ننزل تاني ونجيب آخر حتت من الدهب لكن أنا خفت علي عمك وقلتله مش حتنزل أنت، أنا اللي حنزل وفعلا نزلت أنا لكن حسيت بوحشه وأنت عارفاني الخوف ما يعرف لقلبي طريق لكن خفت وحسيت الصور بتتحرك وأصوات صريخ وحد بيقولي حتندم حتندم! المهم بقيت زي المسبح كلي عرق والجلابية مبلولة طلعت علي آخر نفس !

أبص ألاقي عمك مرمي علي الأرض ورجله بتنزف دم، قطعت الجلابيه وربطت رجله وفي البيت بشوفه لقيته مات.

لما سألتني الناس قلت الحية اللي في النخلة نهشته وهو نايم، بعدها روحت لشيخ وحكيتله قالي دا الحارس بتاع المكان ومن ساعتها أنا غطيت الساقيه ومعدتش أخلي حد يروح لها .

يابتيّا الساقيه موتت أخويا ومرته فيها جن واعر قوي متحكيش لحد ومتروحيش عندها !

وأنا من ساعتها مش راضيه أقول لك خايفه عليك وعلى عيالي.

××××

وقف الزوج وعيناه يتطاير منها الشرر :

- كل ده تعرفيه ومعيشانا في الفقر طب أقولك إيه بس ربنا يسامحك! طيب آديني عرفت السر فين بقي المكان يا شملولة؟!

الزوجة:

- بعد اللي قلته لسه برضك عايز تمشي في السكة دي؟!

الزوج:

- عليا الطلاق لو ماقولتي لتكوني خلصانه من ذمتي .

راحت الزوجة تذرف الدمع وتدقق النظر بمحمد الزوج الطيب الودود، الذي لم يعتد يوماً أن ينهرها أو يرفع صوته عليها تحول فجأة عبداً للمال وكأن أحداً غيره يتحدث !

وبصوت يملأه الشجن ونبرة كأنها تودع الحياة قالت الزوجة:

- عارف البير اللي مغطاياه في الحوش بتاعنا؟!

- أيوه ماله؟!

الزوجة:

- هو ده ساقية الدحلاب.

هب من مكانه فزعاً والشرر يتطاير من عينيه:

- كيف يعني؟ وفي بيتي كمان كيف؟

ظل يهذي ويدور حول البئر القديم ويتمتم بكلمات غير مفهومة وبسرعة نزع جلبابه وأزاح الستار عن البئر وهم بالنزول فيه لم يمنعه عن ذلك توسلات زوجته ولا صراخ أولاده، وقبل أن يفكروا في منعه كان داخل الساقية المهجورة فتجمدوا مكانهم خشية أن يفتضح السر للجميع.

تهليله أعادهم للحياة مرة أخرى وأخرجها من شرودها -فقد ظلت ترتجف وتدعو أن يخرج زوجها من البئر سالمًا - فقامت مسرعة تتعثر في جلبابها .

تردد كلمات الحمد وقبل أن تصل إليه رأته يسقط أمامها مغشياً عليه وقدمه تنزف دماً .

رحل الزوج تاركاً زوجته تواجه المشكلات وحدها ومصير مجهول ينتظرها تزاحمت الأفكار في رأسها وتوالت المشاهد أمام عينيها زوجها، الساقية، الأفندية، الآثار، صوت والدها يحذرها:

"الساقية يا بتى' الموت يا بتي .....!"

صباح وعفاريت الإنس والجن

عادت مخمرة بغبار المقابر بعد أن أودعت زوجها مثواه الأخير، مودعة ذكرياتها وأمنياتها معه، مقبلة على حرب لا هوادة فيها ولا تراجع عنها .

ثلاثة أيام هي مراسم العزاء الأولى وتبدأ في تنفيذ خطتها هكذا حدثت

صباح نفسها وهي وحيدة حزينة في غرفتها أول ليلة بعد رحيل زوجها.

صبيحة اليوم الرابع لم تنتظر صباح حتى تطلع الشمس فقد جافاها النوم ولم تستطع صبراً فتسللت فجرًا وقد قررت مقابلة جارتها العجوز خديجة؛ أخذت تطرق الباب بلهفة وحذر ثم رفعت صوتها بالنداء :

- خالة خديجة أنا صباح يا خالة إفتحي يا خالة

فتحت الخالة الباب مندهشةً من خروجها في هذه الظروف وذلك التوقيت!!

قصت عليها كل شيء بكل صراحة واختصار :

- اسمعي يا خالة من غير لف ولا دوران أنا أبويا حكالي علي كل حاجة وقال لى لو سر الساقيه اتفضح روحي لخالتك خديجة وهي حتقولك تتصرفي كيف واديني جتلك ياخالة أعمل إيه وأروح لمين! تعبانه يا خالة فيديني !

مسحت الخالة دموعها الحارقة وهدأت قليلاً من روعها وبدأت تسرد لها الحل قائلة :

- بصي يابتي أبوكي قبل ما يموت قالي لو جتلك بتي صباح أديها الورقة دي وقوليلها أنك متعلمة وتقدري تنفذيها أنا خفت يابتي مقدرتش أنفذها خفت عليكي لكن لو اتزنقتي إعملي المكتوب فيها .

ونهضت تحضر لها تلك المخطوطة، التي كانت داخل إناء فخاري أ،خذت المخطوطة والورقة وشرعت في قراءتها، إذا هي مكتوبة بخط غريب يصعب قراءته فالأحرف ليست عربية !

شردت لوهلة ثم التفت للعجوز.

- طب قالك حاجة تاني يا خالة؟!

العجوز:

- لا يابتي غير أنك تخلي بالك من نفسك عشان وهو بيأمني كان خايف ووشه مخطوف!

المرأة:

- طب قوليلي ياخالة، هو الشيخ اللي راح له أبويا زمان لساه عايش؟!
- أيوه يا بتي عايش روحيله يمكن يعرفك او يدلك علي اللي في الورق المخربط ده !

لم تتردد ولو للحظة، ذهبت في نفس الليلة وكلها أمل أن تصل لحل تلك الألغاز قبل أن يأتي الأفندية ويسألونها عن زوجها والساقية، لأنها تعلم جيدًا تفكير مثل هذه العصابات ومدى قوتها !

ذهبت بمفردها لم تخش طريق القصب، وظلمته الموحشه وأصوات الذئاب ورهبتها، لم يكن يشغلها إلا الأخذ بالثأر لزوجها من تلك الأفعى، وحماية أطفالها من تكرار هذه الحادثة ومن الخطر الذي يهددهم من عصابة الآثار .

وما أن وصلت لدار الشيخ الذي يسكن عند أطراف القرية وبين زروع القصب، حتى طرقت الباب بقوة ونادت بصوت مرتفع:

- يا عم الشيخ يا عم الشيخ...

لم يستمر نداءها طويلا إلا وقد فتح الباب، وإذا برجل عجوز بملامح غريبة ومخيفه، رجل ضخم الجسد لا يرتدي عمامة قراهم، له شعر طويل يشبه ليفة نخل، ولحية بيضاء كثيفة الشعر مجعدة، وحاجبان كأنهم شوارب غير منمقين! وأنف طويل مدبب! كلها ملامح مخيفة وكان الأغرب عيناه الثاقبتان باللون الأحمر الدموي، اهتزت في داخلها في البداية، لكنها استجمعت

قواها بسرعة متحدثة له:

- أنا صباح بت حمدان اللي جالك زمان عشان ساقية الدحلاب فاكره؟!

الشيخ (وعكس ما توقعته من ملامحه الغريبه وشيخوخته، فهي كانت تتوقع إما المماطله، أو المساومة، أو النسيان !):

- أيوه يابتي فاكره ادخلي تعالي وححكيلك...

بصي يا بتي أبوكي زمان جالي وحكالي اللي حصل وكانت معاه ورقه جلد مكتوبة بالفرعوني وأنا قلتله ساعتها أن الحارس هو اللي بيعمل كدا وعندي إستعداد أخلصك منه بعد ما خدت الورقة الجلد ونزلت مصر لواحد صاحبي كان معايا زمان في الجيش وهو يعرف ناس متعلمه، وقدروا يعرفوني المكتوب في الورقة دي، قلت لأبوكي تعال ننفذها ونطلع المقبرة دي وخد إنت الدهب وإديني المساخيط، لكن أبوكي رفض يا بتي قالي عار علي ادخل حد يكشف حرمة بيتي، لكن أنا كتبتله ورقة فيها الطريقة اللي تخلصه من الجن ده ويقدر بعدها ياخد كل حاجه من غير ضرر بس يا بتي أدي الحكاية .

- يعني الحل يا شيخ مكتوب في الورقة طب لو جبتهالك تفتكرها؟!

- أيوه يا بتي أنا عجزت صوح لكن مخي عال .

ارتسمت ابتسامة أمل على وجهها الشاحب، وقالت :

- طب الورقة أهى يا شيخ !

- تمام يابتي انتي دلوقت عايزه ايه؟! افسرهالك يعني؟!

- أيوه يامولانا وحياة أبوك ياشيخ الحقني، روحي أنا وعيالي معلقة في الورقة دي.

غادرت منزل الشيخ العجوز وهى تعرف يقينا نهاية هذا السر الغريب ووضع حد لكل هذه المصاعب ملتحفة برداء الإصرار والعزيمة مدثرة كل الأوجاع والأحزان بقبر زوجها!

وصلت منزلها مرهقه، بانتظار اللقاء الحاسم، متسلحة بعقلها وتعليمها معتمدة على ربها بأن تنجح.

مر يومان منذ عودتها، وفي فجر اليوم الثالث، بدأ الباب يطرق طرقات متلاحقة، ففتحت الباب علي وجه ذلك المهيب (الباشا)،

الباشا:

- إذا سمحتي يا حاجه ممكن أتكلم معاكي.
- محدش معايا في البيت، لو عايز تتكلم اتكلم هنا.
- طيب الأول البقيه في حياتك وحياة أولادك في المرحوم
- متشكره، انت عايز ايه يا باشا
- أكيد المرحوم حكالك إحنا عايزين ايه !
- أيوه حكالي، ووجها قد تحول للاحمرار من الغيظ
- طب كويس يلا بقي عشان تعرفي تربي عيالك وتقبوا علي وش الدنيا.
- بلهجة مستفزة !
- بص يا باشا، احنا ممنخافش، ولا معنتهدد، بس أنا حقولك عشان تعبت من سلسال الدم ده .
- يبقي متفقين، ايه طلباتك؟!

- هما طلبين يا باشا مش أكتر، عقد بملكيتكم للبيت، واتنين مليون جنيه، وبعدها حاخد عيالي وأسيب البلد بحالها.

- طلباتك موجودة، ولوح بإصبعه لأحد أفراد الحراسه فآتاه بحقيبة، أخرج منها الباشا عقد، إحنا عاملين حسابنا لكل حاجه يا حاجه، وكمان الشنطة فيها تلاته مليون مش إتنين.

- تمام يا باشا كدا أقدر أخد عيالي وأمشي.

- ممكن تورينا المكان الاول يا حاجه.

- اتفضلوا.

أخدتهم للحوش وأشارت لهم علي الساقية.

فأومأ الباشا لأحد رجاله ليتأكد أنه هو المكان المطلوب، فنزل أحدهم ودخل الفتحه فوجد نص فرعوني أول جدار السرداب وصور لبعض الألهه وسلم، ثم خرج، مشيرًا للباشا بعلامة النصر قائلاً:

- كله تمام ياباشا.

الباشا:

- تمام ياحاجه، يلا يارجاله بالليل نيجي نخلص.

وغادرت القرية متجهة لأحد المحافظات الساحلية لتقابل هناك زميلها في الجامعة وحبها القديم وأمنيتها الأولى "سيد".

وصلت لتجده بانتظارها، واستقلا السيارة لتبدأ الحديث معه:

- عايزة مكان أسكن فيه انا وعيالي بس يكون فيه مطرح تحت الأرض ويكون أمان.

- بس ده حيكون غالي يا صباح!!
- ملكش دعوة اتصرف والفلوس جاهزة.
- طيب إيه رايك أنا كنت مشطب شقة اتجوز فيها ايه رأيك تقعدوا فيها لحد ما أشوفلكم المكان اللي انتي عايزاه !!
- ماشي المهم يكون أمان وبعيد عن الزحمه.
- دا مكان حيعجبك قوي.

وصلوا واستقرت هي وأولادها، واطمأنت على كل أغراضها.

بينما هو بدأ ينفذ صبره وكاد عقله ينفجر من كثرة الأسئلة المتزاحمة.

- يا صباح متفهميني عقلي حيفر مني يا شيخة خبر إيه اومال ايه الحكاية!

رسمت صباح ابتسامه خفيفة علي أعتاب شفتيها الجافتين، ثم اتكأت على كرسي متأوهة:

- حقولك على كل حاجه.

وبدأت تقص عليه حتى وصلت في الأحداث لحوارها مع الشيخ..

- ولما مشيت من عند الشيخ كنت متأكدة إني أقدر انتقم من الجن بعد ما عرفت من الشيخ إن الحارس هو اللي بيستغل حيات الحوش ويخليهم ينهشوا أي حد يقرب لأن المخطوطة معناها «الموت لكل من يزعج الملك» والحارس بتاعها عم يظهر في صورة حية، قريت سور القرأن اللي قال لي عليهم وكان مفهمني إن الحارس بقي ضعيف بعد ما محمد قدر يطلع بالتلت حتت وفعلا كان الخوف ملهوش مكان جنب التار، واتوضيت وقريت القرأن وبعدها سمعت صرخة كانت حتخرم ودني،

بعدها أخدت التلت حتت وروحت للشيخ وحكيتله اللي حصل قالي كدا تمام انت كدا حرقتي الحارس الجني، فرحت قوي إني أخدت تار جوزي من الجن.

وقلت للشيخ عايزه أبيع دول، ومفيش كام ساعه كان جايب لي شنطة سفر مليانه دولارات، وقالي يابتي انت كدا ملكيش قعاد في البلد، قلتله لا يا شيخ لسه تاري مع الأفنديه دا هم السبب في موت جوزي . واتفقت معاه إني حرجعله وأخد الشطنة، وبعد ما خلصت مع الأفندية، رجعتله وقلتله بعد ما أمشي إبعت مرسال لمحمد بيه ظابط النقطه هو عارف كل حاجه، لأني كنت روحتله وحكتله من غير ما أجيب سيرة عن التلت حتت وإتفقت معاه ميجبش سيرتي في أي حاجه وطبعا بالعقد اللي حيلقوه معاهم وشهرته في القبض علي العصابات وافق.

بس يا سيد وقبل ما أقعد معاك جالي المرسال إن اتقبض عليهم كلهم .

والحمد لله، نام وارتاح في قبرك يا محمد؛ قدرت أخد تارك من الإنس والجن .

تمت بحمد الله.

امرأة من صفيح

عادل السمري

صفيحٌ صدأ..جدران عُشَّتِي. أربعةُ عروقٍ خشبيةٍ في باطن الأرض غُرستْ.

حملت على عاتقها سقفًا خشبي الألواح.. مثقل بالغاب والبوص والخرق البالية.

كل أثاث عُشَّتِي.. سريرٌ صُنع من المعدن.. كالقبر في حجمه.. متر في متر، علمت يومًا أنه من مخلفات أحد المستشفيات.

عليه ممددةٌ.. مرتبةٌ قطنيةٌ عفنةٌ.

فَرشتُ عليها لأواريها ملاءة خشنة.

لي وسادتان أضع الطويلة منهما في صدر السرير، والصغيرة أسند ظهرها إلى الجدار الصفيحي بين مثيلاتها من العُشش تكومت عشتي.

تكومت عند الجانب الشرقي من شريط القطار الذي يخترق تلك المستعمرة الكائنة بالحي الآخذ من عين الشمس لقبًا له.

لي زوجٌ شأني وشأنه شأن كل القابعين خلف الجدران الصفيحية لتلك العشش.

تغرق حتى النخاع في الجهل فاتحة الكتاب لا ندري من أمرها شيئًا.

لنا دينٌ غير أننا لا ندري من تعاليمه شيئًا.

لا شهادات ميلاد لنا، فنحن ساقطو القيد في تلك البلاد.

لا وثائق زواج لنا، فنحن من ننكح أنفسنا بأنفسنا.

كلنا أشباح على الأرض تسعى، لا هوية لها ولا تحقيق شخصية.

لا تعرفنا الحكومات إلا حينما تريد شرطتها كبشًا يُذبح فداءً على أعتاب سجونها.

كل العشش أوكارٌ متجاورة لتعاطي المواد المخدرة، كل واحدةٍ لها حصتها فلا تجور عُشة على نصيب الأخرى، ولا على زبائنها.

عصرُ يوم غائم.. جلستُ بعشتي وبين قدميّ العاريتين كومة ملابس انهمكت في غسيلها.. جسدي كان يستره رداءٌ خفيفٌ يصف ويشف حينما داهمني زوجي وبيده رجلان.. نهضتُ ألملمه في عباءة سوداء تصد نظرات الرجلين المتجولة في مسافاته.

لي جسدٌ ضامرٌ لم يرُق لي كثيرًا.

صدأٌ كصدأَ صفيح عشتي رغم أنه قمحي البشرة.. هكذا أراه وأشعر به

لا تضاريس بارزة به، ولا تقسيم منمَّق فيه، ولا تفاصيل مهمة له تنم عن أنه لأنثى.

نهداي ليمونتان جفتا وتعلقتا بصدري البارزة عظامه، لا أدري أي موضع بجسدي آثار رجلين كهذين حتى يقتحمانه بتلك الوقاحة؟.

بدا الرجلان صيدًا ثمينًا لزوجي فقد كان لهما من الوجاهة والثراء ما يجعل لُعاب أي رجل من رجال العشش يسيل لاستضافتهما، فقلما تجود عليه الصنعة بمدمنين كهذين.

كان للنهار بقايا قضاها الرجلان بصحبة زوجي الذي أمعن في إمتاعهما وإغراقهما في لذة المخدر حتى بات ليلته بعد رحيلهما منتشيًا باصطيادهما وأموالهما.

اعتادا عُشَّتنا، واعتاد زوجي قدومهما وأموالهما، واعتادا التطلع فيّ. واعتدتُ نظراتهما الوقحة رغمًا عن نفسي المتألمة.. فتلك صنعتنا ومنها نأكل خبزنا وشأني شأن نساء العشش كلهن.

من رحم الغيب وُلدت ليلة

كانت هادئة.. باردة

لا يخطو في دروبها سوى ريحُ شيطانٍ وجسدٌ يتوق لجرعة مخدر

تكومتُ في صدر سريري جالسة القرفصاء أغالب النوم وأحرم على جسدي التمدد أمام أعين هذين الرجلين حتى يرحلا.

كانت لوسوستهما في أذن زوجي أصداء تُشكل كابوسًا يباغتني كلما غفوت منحوه كومة مال مقابل أن يمنحهما لذة الاختلاء بي و.....

أفقت من غفوتي. تألقتْ خيالات أمام عينيّ التائهتين في ضبابية النوم.

زوجي يفرغ في وريده حقنة مخدر على غير عادته

والرجلان عاريان؛ أحدهما يكممني ويجهض محاولاتي للإفلات... والآخر يشدني لأتمدد.

تمزقت رداءاتي الثقيلة من نبش أظافرهما ..تعريت

زحف البرد يسطو على جسدي، ليشاركهما لذة النهش

سقطت وسادتايَ على الأرض.

سقطت لزوجة متعتهما العفنة تدنس جسدي، تنخر فيه.. تفجر غضبتي

سقطا جسديهما ممديْنِ على الأرض يلهثان لا يعيان شيئاً ..مخدريْنِ.

نهضتُ عارية أخطو فوق صدورهما.

تناولتُ كل الحقن المعبأة بالمورفين والهيروين، وأفرغتها في شراييهما البارزة بزرقتها ووقفتُ على رؤوسهما أرجمهما بعُريّ.. حتى تشنجا.

مدا لي يدًا .. ظنًا أن من قتلهما سيمنحهما النجدة

أهلتُ على جسدي عباءتي السوداء لما أهال الموت عليهما أستاره

أزحتُ بيدي كومة المال فتبعثرت.

ارتميتُ على صدر زوجي فقد مات.

أطلقتُ العنان لصرخاتي تشق جدار الصمت المطبق على القابعين خلف جدران العشش الصفيحية.

تمت بحمد الله.

مثنى وثلاث

منى لطفي

سلمت بأنك أقوى.. وأنا أضعف منك أيوة.. لكن أنا كل ما بضعف قدامك ببقى الأقوى!!

كلمات أغنية لسميرة سعيد، هي ليست مجرد كلمات لأغنية خفيفة ندندنها أو نعجب بها فنسمعها مرارًا وتكرارًا، ولكنها تلخيص وافٍ لما عليه الوضع تمامًا بين... آدم و... حواءه!!

تقطيبة عميقة تعلو جبهتها فيما زمّت شفتيها وقد لاحت أمارات التفكير العميق على وجهها، وهي بين مذهول ومكذّب لما تسمعه من زوجها العتيد، الذي جلس يخبرها بكل هدوء أنه قد عقد النية على الزواج بأخرى بكل بساطة وكأنه يخبرها بحالة الطقس وليس بإعصار أقوى من إعصار تسونامي سيقلب حياتها الهادئة الآمنة من أعلاها لأسفلها!!!

أجابت بابتسامة مرتعشة تجاهد للظهور فوق شفتيها الرفيعتين بينما وجهها قد شحب تمامًا وتفصّدت بعض قطرات العرق فوق جبينها الخمري

- إنت.. إنت بتقول ايه يا حمدي؟ انت بتهزّر صح؟

أشاح حمدي بوجهه إلى الجهة المقابلة وقد عقد جبينه وقال وقد ارتسمت آيات الجدية فوق ملامحه السمراء المحببة فيما لمعت عسليتيه بقوة دليلًا على جديّة كلماته:

- لا، يا نهى، المواضيع دي مافيهاش هزار!

نظرت نهى إلى الفراغ أمامها وقالت بخفوت وكأنها تحدّث نفسها:

- ليه؟.. أنا قصّرت معاك في إيه؟

التفتت تنظر إليه بينما أصرّ هو على النظر أمامه وأردفت وقد بدأ البرود الذي غزا أطرافها نتيجة صدمتها في الانحسار لترتفع نبرة صوتها قليلا:

- - والولاد؟.. مفكّرتش فيهم؟.. وأنا!!!

مشيرة بسبابتها اليمنى الى نفسها متابعة بحرقة واضحة وحريق تشعر به في أحشائها يهدد بالاندلاع في أية لحظة :

- أنا تعمل فيا كدا ليه؟

أشفق أخيرًا عليها فأدار وجهه إليها قائلًا بهدوء تام وكأنه يشرح مسألة حسابية لطفلة في السابعة من عمرها:

- أنتِ زي ما إنتِ يا نهى!! والولاد مش هيتغيّر عليهم حاجة، لكن أنت عارفة إني مش بحب أعمل حاجة في الضلمة، دا حقي اللي ربنا ادّاهولي (منحه لي)، أنا لا بعمل حاجة عيب ولا حرام!!

وكأن كلماته الأخيرة كانت المعول الذي هدم قشرة برودها التي أخذت في التصدّع، لتنتفض واقفة وهي تهتف في صدمة وغضب:

- وحقي أنا فين؟... لما جوزي يروح يتجوز واحدة تانية وبيتي وحياتي تتهد وعيالي يتحرموا من أبوهم.. دا مش حرام؟!! دا عدل ربنا؟!!

نهض وهو يزفر بسخط وقال بنبرته الجامدة والتي قلّما يرتفع وترها:

- وطّي صوتك، انت عارفة اني مبحبش الصوت العالي، دا غير أنه مرفوض أساسًا آه صوتك يعلى عليا، مافيش ست بترفع صوتها على جوزها!

نظر إليها بجمود وحزم وهو يقف أمامها بطوله الفارع وجسده الذي اكتسب بعض الوزن بعد مرور عشر سنوات على زواجهما، ولكنه لا يزال في نظرها «ابن الجيران»، الذي كان يقطن في الحي الذي انتقلت فيه مع عائلتها، لتعلو شقته منزلهم، وتكون والدته أول من يرحب بهم، وتصبح بعدها من أقرب الجارات لوالدتها، وكم حكت وتغنّت بصفات ولدها الوحيد، والذي كان يعمل كمهندس إنشاءات بإحدى المدن الجديدة، حيث أثبت نبوغًا ملحوظًا في كلية الهندسة وقد حصل على الشهادة النهائية بتقدير امتياز ومع أن فرصته كبيرة في العمل بالجامعة، ولكنه دائمًا ما يحلم بالعمل الحر وإنشاء شركته الهندسية الخاصة، فكان أن عمل لدى أحد أساتذته بالكلية في مكتبه الخاص، ليثبت نفسه في عمله، فيطلبه عملاء المكتب بالاسم، وكان أن قلّده صاحب العمل مشروعًا كبيرًا في إقامة مجمّعًا سكنيًا في إحدى المدن الجديدة، ليدب الحماس في أوصاله ويخبرهم أنها فرصته الذهبية ليعلو اسمه، ويستطيع بعدها البدء بعمله الخاص، فكان لا يعود إلى المنزل إلا مرات قليلة فقط، فهو يكاد يسكن في ذلك المشروع الجديد، وفي إحدى هذه المرات.. شاهدها!..

لن تنسى ذلك اليوم الذي كانت تحمل فيه مشتريات كثيرة، ولم تستطع فتح باب المنزل بعد أن تأخرت والدتها أو إحدى أخواتها في الرد عليها، لتحاول إخراج المفتاح، فتسقط الأكياس من يديها وتتدحرج كرات البرتقال فوق درجات السّلم لتهتف بحنق طفولي وهي تكاد تبكي:

- أوف.. يا ربي!!

وانحنت تحاول جمعها عندما لاحظت يدًا سمراء تشاركها في ذلك العمل وصوتًا رجوليًا يقول بنبرة هادئة بينما لا تعلم لمَ شعرت بأنها تسمع ابتسامته

بين نبرات ذلك الصوت الرخيم:

- ما تضايقيش نفسك، بتحصل في أحسن العائلات!

توسعت عيناها ورفعت رأسها دفعة واحدة لترتطم بجبهته ليبتعد سريعًا بينما وضعت هي يدها على الوشاح الذي يغطي شعرها وقد انفلتت بعضا من شعيراتها الناعمة خارجه فيما انحسر قليلًا عن مقدمة رأسها، بينما لم تنتبه هي لحالتها غير المرتبة ودمدمت بينها وبين نفسها في سخط وبنبرة طفولية بصوتها الصغير الذي يعتقد من يسمعه في الهاتف بأن صاحبته لم تتجاوز الثانية عشر من عمرها بينما في الواقع فهي قد أتمت الثانية والعشرين وتعمل بإحدى البنوك الكبيرة، والتي كانت تتدرّب فيها طوال مدة دراستها في كلية التجارة لتثبت إخلاصًا وذكاءً في عملها فيتم تثبيتها عقب تخرجها مباشرة..

- انت بتقولي ايه؟!

أجفلتها نبرته المندهشة المتسائلة لتستدير بعينيها السوداء الكحيلة هاتفة بسخط:

- وانت مالك انت!! مش تاخد بالك! لما ييجيني ارتجاج في المخ دلوقتي، يبقى كويّس؟!

طالعها كأنه أمام فتاة تهذي كمن فقدت عقلها وأجاب بذهول متسائل:

- ارتجاج في المخ من خبطة راس؟!!! أومال لو ادّيتك (أعطيتك) رُوسيّة (ضربة من مقدمة رأسه وبقوة لمقدمة رأسها) بقه، هيحصل ايه؟.. ترْبنة؟!!

نهضت على عقبيها وأجابت بسخرية ملحوظة وهي تنفض ثوبها المنسدل إلى كاحليها وقد اعتلى وجهها تعبير السخط:

- ها ها ها.. ظريف أوي!!! لكن بدماغك دي أحب أطمنك أنك تعمل

وبسهولة فقدان ذاكرة كمان!!

وفاجأته بأن انتزعت من يده كرة البرتقال التي كان يمسك بها، وقد رمته بنظرة ضيق واضحة قبل أن تلتفت إلى الباب المواجه له وقد نجحت في إخراج مفتاح الشقة، حيث فتحتها لتدلف إلى الداخل وبابتسامة سمجة على وجهها نظرت إليه قبل أن تقول بابتسامة واسعة صفراء:

- بعد إذنك... من غير بعد إذنك!!

لتصفق الباب في وجهه فجأة جعلته يجفل، وقد أغمض عينيه للحظات قبل أن يعيد فتحهما وينظر إلى الباب المغلق أمامه الذي يحوي تلك المجنونة، الـ... لذيذة وراءه، لتظهر ابتسامة عريضة على وجهه قبل أن يحرك رأسه يمينًا ويسارًا تعجبًا ثم يتجه إلى السلم ليصعد إلى الطابق العلوي حيث شقته التي تعلو شقة تلك الـ... مجنونة!!!!

لم يكد يمر شهر على لقائهما الأول، حتى كان حمدي يزيّن بنصرها الأيمن بخاتمه الذهبي، فيومها وما أن دلف إلى شقته حتى سارع إلى الاستفسار من والدته عن السكّان الجدد، ولمّا كان في حياته دائماً واضحاً وصريحاً، فقد صارح والديه أنه قد شاهد ابنتهم وقد أعجبته، ومن وصفه لها لوالدته أخبرته بأنها «نهى» الابنة الكبرى لعائلة الأستاذ «عبد المجيد»، مدير إحدى المدارس الحكومية، ومدحتها وعائلتها، وقد عرفت بداخلها بأن تلك الفتاة قد نجحت في لفت انتباه ولدها، فهو معروف عنه غض البصر، عن أيّة زميلة أو جارة أو قريبة، ولم يكن يلتفت مرّتين لأية عروس محتملة تذكرها له، ولكنه من بضع دقائق رأى ابنة جيرانهم فيها، استطاع إعطائها لمحات محددة لها، وكأن نظره قد ثبت بمغناطيس عليها، فهي متيقنة تماما أن ابنها ليس هو ينظر إلى غير محارمه بل ويدقق النظر، وحمدت ربها أنه قد رزقه بفتاة ذات خلق

ودين ومن أصل طيب بل وذات جمال ملحوظ أيضًا.

ستة أشهر وكان حمدي ونهى يحتفلان بزفافهما في إحدى المساجد الكبيرة، وقد تألقت بفستان زفافها العاجي وحجابها الأبيض، بينما وقف هو بجوارها متأنقًا ببذلته السوداء وقميصه ناصع البياض، وقد شذّب شاربه ولحيته التي غطت ذقنه العريض كاملًا، ليقوم بتخفيفها، فتلمع خصلاتها السوداء القصيرة كجناح الغراب تمامًا كخصلات شعره المجعدة القصيرة.

مرت الشهور الأولى للزواج في سعادة جمة، وشعرت نهى أنه فارس أحلامها المنتظر، فأحبته بكل ما اختزنته بداخلها من مشاعر كانت في انتظار نصفها الآخر لتمنحه إياها فتغدق عليه من ينبوع حبها، دون خوف أو وجل، فعلاقتهما قد باركها الله، فهي حلال له كما هو حلالها..

حملت نهى في ابنهما البكري «أنس» بعد الزواج بستة أشهر، وكانت فترة حملها عصيبة في البداية، كحال معظم الأمهات البَكريّات، وبعد ولادته بأقل من سنة حملت في ابنتها فريدة، وقد قررا الاكتفاء بهما، خاصة وقد مرّت بمعاناة شديدة في ولادتها الأخيرة، جعلته يرفض التطرق لأمر الحمل مرة أخرى، فهي قد تعرضت لنزيف نتيجة ارتفاع مفاجئ في ضغط الدم ولولا ستر من الله لكان فقدها هي ومولودته.

تماما كشريط السينما مرّ أمامها حياتهما سوية منذ لحظة لقائهما الأول وحتى هذه اللحظة، التي يقف فيها أمامها يخبرها بكل صلف وكأنه أستاذ يؤنب إحدى تلميذاته، بألا يرتفع صوتها على معلمها!!!!!

قالت وقد نجحت بصعوبة بتحجيم غضبها المتزايد وبصوت ثلجي:

- كل دا اللي يهمك صح؟.. صوتي ما يعلاش! تمام..

حركة لا مبالاة بسيطة من كتفيها تابعت بعدها:

- ممكن أعرف ومن غير صوت عالي – شددت على كلمتها الأخيرة – أنا وولادي ذنبنا إيه؟..

قطب حمدي وقال وهو يقلب شفتيه بغير فهم:

- ما أنا قلت لك.. مافيش حاجة هتتغير عليكم، انتِ مراتي وأم ولادي، وولادي هيفضلوا ولادي وهي هتبقى مراتي كمان، وهعدل بينكم، مش هظلم واحدة فيكم و....

رفعت يدها باسطة راحتها اليمنى في وجهه تسكته قائلة وهي تحاول السيطرة على أعصابها التي توشك على الانفلات:

- بس انت هتبتديها بظلم فعلًا!!!

قطب متسائلًا:

- هبدأها ظلم؟! ظلم لمين؟.. اوعي تقولي ليكي! أنا بقولك أهو...

قاطعته بحدة مكبوتة:

- انت بتبلغني بمعنى تاني!! يعني أخدت قرارك خلاص، ودا قمة الظلم، يا ريت زي ما أنت فاكر كدا حق ربنا اللي ادهولك ما تنساش كمان حقي اللي ربنا أمرك بيه!

رد بزفرة ضيق:

- حق إيه ؟.. بيتك وولادك وطلباتك مش هينقص منها حاجة، أنا زي ما أنا..

هتفت بقوة:

- إنت هتبقى نص!! نص زوج بنص وقت، نص أب لولادي بنص وقت،

عرفت إنت ظلمتني في إيه؟.. بعد ما كنت كلك ليا أنا وولادي، هيبقى النص منك بس في كل حاجة! وقتك، قلبك، حياتك، وحتى فلوسك، ليه؟.. مين يقول كدا؟.. أنا قصّرت معاك في ايه؟.. حياتنا ما شاء الله هادية، عندنا طفلين ربنا رزقنا بيهم الناس بتحلف بأدبهم وأخلاقهم، وأعتقد أني كزوجة عمري ما قصّرت معاك، بالعكس على قد ما أقدر بحاول أوفّق بين بيتي وشغلي وولادي، وبحاول ما أشغلكش بأي حاجة طول ما انت موجود، بقول كفاية عليك وقفتك طول اليوم بين العمال، في الآخر يبقى دا جزائي؟.. جزاء سنمار زي ما بيقولوا!!!

نظر إليها في سكون ليجيب ببرودة لم تخلُ من الضيق:

- إنتِ قلتيها بنفسك، حياة هادية!! باردة!! فين نهى اللي سرقت قلبي بشقاوتها من أول لحظة؟.. فين خفة الدم اللي خطفتني حتى وانتِ بتتخانقي معايا وخليتني أجري على أمي زي المجنون عاوز أعرف مين البنت دي، اللي خليتني ولأول مرة أبص في وش بنت وأبقى مش قادر أبعد عيني عنها، ولما عملتها كأني بسلخها بالعافية بعيد عنك!..

سكتت تنصت إليه بينما تابع بمرارة خفيفة:

- أول سنة مرت علينا كأنها كانت حلم، ولما ربنا رزقنا بأنس وفريدة وتعبتي في ولادتها كل همّي كان انتي، قلت الابن يتعوض لكن الزوجة اللي زيك، الكنز، مش ممكن أقدر أعوضها، وصممت اننا نكتفي بيهم والحمد لله على كدا، مع انك عارفة اني وحيد أبويا وأمي وأملهم كان في عزوة كبيرة وولاد كتير من صلبي، لكن انا اخترتك انتي، وكبر الولاد، ويوم ورا يوم وأنا مستني نهى اللي أعرفها ترجع لي، لكن كل مدى كنتي بتبعدي أكتر، لغاية ما جه اليوم اللي لاقيتني بسأل نفسي، مين

دي؟.. – مشيرًا إليها – هي دي مراتك اللي حبيتها واتجوزتها؟.. اتحولتي لزوجة كل همّها بيتها وولادها، ما أنكرش إنك عمرك ما قصرتي لا في حق البيت ولا الولاد ولا حتى أنا، لكن فيه فرق بين إنك بتعملي حاجة تأدية واجب أو بتعملي حاجة عشان انتِ فعلاً عاوزاها، ودا اللي أنا بحسه بيني وبينك، العلاقة بيننا زي ما تكون واجب مفروض عليكي بتأديه وخلاص، وأنا مش واجب تقيل عاوزة تعمليه عشان ترتاحي منه!!

تساءلت باستنكار تام:

- أنا ؟.. انت بالنسبة لي واجب تقيل؟....

قاطعها بنفاذ صبر واضح:

- انتِ خليتيني أبص على زميلة ليا !

امتقع وجهها بينما تابع باستهزاء طفيف:

- خليتيني أبتسم لقفشة ليها، خليتيني أبتدي اهتم بيها، حاولت أبعد مقدرتش، ولما هي جات تبتعد اكتشفت اني مش عاوزها تبعد، بالعكس لاقيت انها الحل لحياتنا سوا!!!

وقفت تسأله بجمود بينما زحفت البرودة إلى أطرافها فشعرت بيديها باردتين فيما تعرّقت راحتيها كعادتها لدى شعورها بالخوف من مجهولٍ آتٍ:

- هي بتشتغل عندك؟

أومأ قائلًا:

- مهندسة متخرجة جديد وجات تتمرن عندي في المكتب.

هزة بسيطة من رأسها قالت بعدها وهي على ذات جمودها:

- امم ويا ترى إيه هو الحل؟.. ازاي هتبقى هي حل لحياتنا الـ ميتة – مستعينة بتشبيهه مشددة على الكلمة – ممكن أعرف؟

لمعت عيناه حماسًا ثم استرسل:

- هي اللي هترجع لحياتي الدفا اللي كان بيني أنا وانتي في الاول، هتخليني أرجع حمدي اللي أنا عارفه، هتبقى رمانة الميزان في علاقتنا أنا وانت، وهي على فكرة عارفة اني متجوز بالعكس دي نفسها تشوفك وتتعرف عليكي انتِ والولاد من كتر ما كلمتها عنكم..

صمتها شجعه على الاقتراب منها ليمسك بكتفيها ويميل ناظرًا بعسليتيه لماستيْها السوداء وهو يردف بحنان:

- أنا عمري ما هظلمك، ولا هظلم ولادي...

وببطء كان يحتوي جسدها الذي اكتسب بضعة كيلوات نتيجة الحمل والولادة، ولكنها لم تكن بالسمينة، بالعكس فصديقاتها يخبرنها بأن جسمها قد امتلأ في الأماكن الصحيحة!! ليجعله ذلك الوزن القليل الزائد أكثر اغراءً وجاذبية!!!..

لمست رأسها عضلات صدره العريضة نتيجة عمله الشاق، وبينما سكنت تمامًا كان هو يهمس لها بخفوت وهو يملّس على خصلاتها الناعمة السوداء التي أسرت لبّه ما إن أزاحت الوشاح الأبيض الذي كان يستره عن الأعين ليلة زفافهما:

- أنت أول حب في حياتي، انتي حبيبتي ومراتي وأم ولادي، وانتي عارفاني عمري ما بوعد وأخلف أبدًا.. وأنا أوعدك اني عمري ما هقصر معاكي لا انت ولا الولاد!!

ببطء رفعت رأسها بعيدًا عن حضنه الدافئ لترفع رأسها تنظر في عينيه قليلًا قبل أن تقول بخواء:

- لما اتجوزنا وعدتني إنك عمرك ما هتزعلني، ولا هتعمل حاجة تأذيني.. بس للأسف..

سكتت وابتعدت عدة خطوات للخلف لتتابع بمرارة بينما وقف هو يطالعها في تساؤل وعدم راحة من كلماتها:

- انت خنت وعدك ليا!!!!!

والتفتت متجهة إلى غرفة أطفالها وتركته وراءها يراقب ابتعادها وقلق غريب يغزو قلبه، وقبل أن تتوارى خلف الباب نظرت إليه وقالت:

- زي ما هي فكرت وقررت ووافقت تبقى طرف تالت في علاقتنا، حقي أنا كمان أفكر وأقرر، ولغاية ما دا يحصل مافيش حاجة هتتغير قدام الولاد، لكن لو سمحت تحترم رغبتي إني أفضل معهم في أوضتهم، مش عاوزة أي ضغط من أي نوع، لانها مش حياتي لوحدي دي حياة ولادي كمان..

عقد ساعديه وقد ظهر رفضه واضحًا في وقفته ونبرة صوته وهو يسمعها تعلن رغبتها في الابتعاد عن غرفتهما، لأول مرة منذ زواجهما اللهم إلا في بعض المرات النادرة جداً من ضمنها فترات ولادتها، أما في الطبيعي فهي لا تستطيع أن تغفو إلا فوق وسادتها وعلى فراشهما فقط:

- امم، وممكن أعرف حضرتك هتقرري امتى بالظبط؟.. يا ريت متطوليش لأني اتفقت معاها إني هخطبها رسمي من أهلها في أقرب فرصة!!

ابتلعت غصة مريرة جراء عبارته الأخيرة وابتسمت ابتسامة حزينة طفيفة قبل أن تقول:

- ما تخافش، أسبوع بالكتير وهبلغك بقراري، طمّنها... جوازكم مش هيتأخر كتير!!!

واختفت خلف الباب تغلقه خلفها بهدوء، بينما ابتلع حمدي ريقه بصعوبة ولأول مرة يشعر بأنه لا يمسك بالخيوط جميعها في يده كما كان متصوراً.. فيبدو أن زوجته قامت بفك أولى هذه الخيوط.. والسؤال الآن هل سيستطيع جمعها بين يديه ثانية أم أن الوقت قد أزف والخيوط لن تنفرط فحسب بل ستنقطع تمامًا!!!!!..

×××××××

أسبوع، سبعة أيام، وهو لا يكاد يراها، اشتاق للجلوس إليها، والحديث معها، تذكر جلستهما سوية، هي تقوم بكي ثياب المدرسة لطفليهما، وثيابه هو شخصياً، بينما يجلس هو إلى حاسوبه يقوم بالعمل عليه، وخلال هذا الوقت يتبادلان الحديث، يقص عليها بعضاً مما جرى خلال يومه، لتفاجئه برأيها الذي كثيرًا ما يراه صائبًا، صحيح أن جلستهما تلك كان يقاطعها صياح ولديْهما المفاجئ اللذان يندفعان إلى غرفة المعيشة حيث يجلسان ويتنافسان من منهما يشكو الآخر إليها، وكأن بوصلتهما لم تلتقط سواها هي، مع أنه هو ينهي الخلاف باحتضانهما سوية، ولكنها هي، من تنزع أسباب النزاع بعدما تترك ما بيدها وتلتفت إليهما تستمع إليهما بتركيز لتحكم بالعدل بينهما، وبعد أن تقف على أسباب الخلاف جيدًا تصدر حكمها والذي وللغرابة لا يمتعضان منه، بل أن المخطئ بينهما وبكل بساطة يقدم اعتذاره وأسفه الصادقيْن، وبعدها يستأنفان لعبهما سوية وكأن لم يحدث شيء!

وعندما كان يسألها كيف تنجح في ذلك، كان جوابها عليه بمنتهى البساطة:

- بالإقناع!!!

لتفسر له بأنها تتعامل معهما بنضج، تتحدث وتناقش، الأطفال ليسوا بأغبياء بل العكس، هم قمة في الذكاء، وعندما يجدوا من الشخص الأكبر احتراماً لعقولهم يسمعوه بكل رحابة صدر، وكلما أفردنا المساحة لهم للنقاش والاستفهام كلما كان اقتناعهم بصواب حكم الكبير أسهل..

ولكنه الآن حتى هذه الأوقات يفتقدها! كان يظن في البداية أنها تقوم بذلك كوسيلة ضغط عليه، ولكنه بعد أن واجهها في إحدى المرات أنها لم تعد تقوم بـ كي الثياب في غرفة المعيشة كما اعتادت صارحته ببساطة أنها كانت تقوم بذلك لتجلس معه، في محاولة لقضاء أكبر وقت برفقته، أما الآن فهي تقوم بالكي في غرفة الأولاد حتى يتسنى لها ملاحظتهما كي ينتهيا من تأدية واجبهما المدرسي

في حين أنها قبلًا كانت تمنحهما هذه الفترة «استراحة» ثم تعود للمذاكرة معهما، مما قد يؤدي في بعض الأحيان أن يناما بعد موعدهما المفترض، وبالتالي يكون شجار الصباح أثناء إيقاظها لهما والذي كان كثيراً ما يعنّفها عليه، لصوتها المرتفع، وعصبيتها المفرطة!!!!

نفخ وهو يروح ويجيء في غرفة مكتبه، في شركته التي قام بإنشائها كما كان يحلم، وذلك قبيل زواجهما بعد انتهائه من تسليم ذاك المنتجع السكني في وقت قاسٍ وقبيل موعده، مما جعل اسمه يعلو وسط أقرانه، وكم كانت فرحتها كبيرة وهو يزف إليها الخبر، متابعًا بأن وجهها بشرى خير عليه، لتقف بجانبه تعاونه في تأسيس المكتب يدًا بيد، حتى بعد انشغاله بشركته الحديثة العهد حتى يستطيع أن يصنع لها اسمًا وسط مثيلاتها ولم يكن قد مر على زواجهما القليل لم تتبرّم، حتى عندما أخبرها بأنه حالياً لن يستطيعا السفر في رحلة كشهر عسل، تناولت الأمر ببساطة أدهشته وزادت من قدرها في

نظره، وهي تخبره بأن العبرة ليست بالمكان، بل بالرفقة، وهي ستكون برفقته سواءً بشقتهما أو في أي مكان آخر!!!

قاطع تأملاته صوت هاتفه المحمول يتعالى رنينه ليتناوله من جيبه وبعد أن طالع الرقم بتقطيبة تلقى المكالمة، ليرتفع حاجباه في صدمة ويشحب وجهه قال بعدها سريعًا:

- أنا جاي مسافة السكة..

تناول محفظته الجلدية ومفاتيحه من فوق سطح المكتب واندفع يفتح الباب فكادت تلك الشابة التي كانت تهم بالدخول أن تسقط على وجهها، ولكنها تمالكت نفسها بصعوبة وهي تهتف بمفاجأة:

- آه!!!

رفع يديه عاليًا وقال بلهفة:

- معلهش أنا آسف يا نهال، بس أنا مستعجل..

ومر بجانبها لتهتف تناديه:

- انت رايح فين؟..

وقفت أمامه تعوق خروجه متابعة بتساؤل وامتعاض:

- انت مش ملاحظ انه فات إسبوع من يوم ما كلمت مراتك في موضوعنا وانا لا بعرف أكلمك ولا أشوفك؟.. حتى بابا بيسألني هتيجي تتقدم امتى، وإنت لغاية دلوقتي ما حددتش معاد!

حمدي وهو يخطو بعيدًا عنها ليدلف خارجًا:

- معلهش، هكلمك بالليل ونتفق ان شاء الله، إنما أنا مضطر أخرج دلوقتي..

نظرت لها زميلتها بغير فهم وقالت:

- ممكن أفهم بقه، ليه خليتيني أكلم جوزك وأقوله انك تعبانة وأعمل عليه الفيلم دا عشان ييجي لك؟..

بابتسامة خفيفة:

- لأنه انهارده أخر يوم في الأسبوع اللي طلبته عشان أفكر، والمفروض بالليل أقوله على قراري!

نهضت زميلتها من خلف مكتبها واستدارت حوله تتجه إليها وهي تقول باعتراض:

- انت بتتكلمي بجد؟.. اسبوع ايه دا؟.. واحدة غيرك كانت قوّمت الدنيا عليه وراحت لبنت التيت دي جابتها من شعرها!

نهى وهي تنظر إلى سميحة زميلتها:

- وبعدين؟.. اتخانقت ودخلت أهلي وأهله وجبتها من شعرها، دا هيمنعه أنه يبص تاني وتالت؟.. ومش بعيدة المرة الجاية يعملها من غير ما يقولي، لا، دا كمان ممكن جداً يتجوز بنت التيت دي على رأيك بعد ما تصعب عليه وأطلع أنا الشرير بتاع الفيلم!

نظرت لها وهي تجلس على المقعد المقابل لمكتبها:

- أنا مش فاهماكي، انت ازاي قادرة تستحملي؟ ازاي قدرتي أساسًا تقفي تسمعيه وهو بيقولك انه عاوز يتجوز غيرك!

ردت بمرارة:

- من جوايا بموت في اليوم 100 مرة، لكن لازم أحارب عشان بيتي وولادي، أنا مش ضعيفة، ولا غبية، ولا يمكن هسمح لأي واحدة مهما كانت إنها تسرق حياتي وحياة ولادي، دي حياتي أنا، دا جوزي وبيتي وعيلتي واستقرار ولادي

اللي بحارب عشانهم، حمدي دا حقي وحق ولادي وأنا عمري ما اتعودت أسيب حقي ولا أفرّط في حق عيالي أبدًا..

سألتها بحيرة:

- بس بردو هتستفيدي ايه انه يفتكر إنك تعبت وييجي لك جري؟.. عاوزاه يقلق ويخاف عليكي مثلا؟..

نهى بابتسامة غامضة:

- وانت الصادقة عاوزاه يخاف إني اروح منه!!!

ونظرت لسميحة مردفة بلهجة ذات معنى:

- ما تنسيش تقولي لأستاذ عيسى اني استاذنت عشان تعبانة!

طالعتها للحظات قبل ان يشرق وجهها بالفهم وتهتف قائلة وهي تنهض واقفة:

- يا بنت اللعيبة!! وطبعا أستاذ عيسى هييجي على ملا وشّه عشان يطمن على أحسن موظفة عنده في القسم..

نهى بابتسامة عريضة:

- وما تنسيش انه انهرده معاد مروان بيه عشان القرض اللي مقدم عليه، وأنا اللي ماشية في أوراق القرض دا، يا ريت تبلغي أستاذ عيسى أني مش هقدر أقابله، عمومًا الورق كله أنا خلصته وهو عنده فكرة بالمطلوب كله!!

في ذهول وقفت سميحة تقول:

- لا بجد أنا شهدت لك!

لتشبِّك سبابتها والوسطى سوية متابعة:

- عيسى ومروان في طلعة واحدة!!! انت عاوزة جوزك يتحسر ولا يعمل جريمة!!! طب ع الأقل خافي ع الأستاذ عيسى الراجل ممكن يروح في إيده!

نهى ببرود:

- محدش قاله يبص لموظفة عنده من دور بناته وكمان متجوزة! أنا عارفة أصدّه كويس أوي، لكن اللي زيّه المتصابي اللي بيستغل مكانه عشان يغرر بالموظفات الصغيرين لازم له عقاب شديد، فاكر نفسه ابن عشرين سنة وهو سنة ولا اتنين ويسوي معاش!

سميحة بغمزة ماكرة:

- ربنا يسامحهم اللي اخترعوا الحبّاية الحمرا والحبّاية الزرقا، مخلِّياهم عايشين في الدور وفاكرين نفسهم ولا رشدي أباظة في زمانه، وهما في الحقيقة .. ي ي ي!!!!

قطبت حاجبيها متسائلة:

- ايه الـ ي ي ي؟... دي شفرة؟!!!!

سميحة وهي تحرك كتفيها ببساطة شديدة:

- ي ي ي.. يدوب يعرف يهزر!!! مفسّره نفسها وربنا!!!!!

بصعوبة شديدة تحكمت نهى في ضحكتها القوية وهي تقول:

- انت مالكيش حل وربنا!!!

سميحة بإقرار تام:

- عارفة يا أوختي من غير ما تقولي، ما أنا لو ليا حل ما كانش زماني قاعدة ومتربعة في ارابيز الست الوالدة لغاية دلوقتي! اما اروح انا اكمل فيلم غرام وانتقام دا، وربنا يستر من انور وجدي بتاعك!!!

وكما خططت تمامًا، ما إن علم رئيسها بتعبها، حتى اندفع إلى مكتبها ليراها وهي تجلس خلفه تستند برأسها إلى السطح الخشبي وهي تدّعي الضعف التام، ليقترب منها هاتفاً بلهفة وقلق:

- نهى، مالك، حاسة بإيه؟..

صوت ضعيف واهن نجحت في إتقانه ببراعة خرج منها وهي تجيبه:

- تعبانة اوي يا أستاذ عيسى، دماغي تقيلة وحاسة الدنيا بتلف بيا!!

تقدم عيسى رافعًا يده بغرض وضعها على كتفها لتقطب سميحة حابسة أنفاسها بينما استعدت نهى للتحرك قبل أن تلمسها يده التي لمحتها بطرف عينها ولكن، صوت جهوري كان هو من أوقف تلك اليد بينما يقول صاحبه باستهجان وقلق:

- ايه دا؟...

كتمت نهى زفرة راحة في حين تنفست سميحة الصعداء وتقدمت سريعًا من حمدي الذي وقف بجوار مكتب زوجته يرمي عيسى بشرارات من عينيه:

- باش مهندس حمدي، كويس انه حضرتك جيت، زي ما انت شايف، مرة واحدة لاقيت نهى بتقول انها دايخة واترمت على المكتب زي ما انت شايف كدا!!

حمدي وهو يطوق كتفي نهى بذراعه ويميل عليها بعد أن حدج عيسى بنظرة صاعقة:

- نهى حبيبتي، حاسة بإيه؟..

عيسى وقد غاظه وجود زوجها، ففي رأيه انه لا يستحق تلك الجوهرة «نهى»:

- احنا لسه هنتكلم!!!

ليوجه كلماته إلى سميحة فيما نظراته فيسلّطها على حمدي بكل تحدي:

- خلّي سالي السكرتيرة تطلب الدكتور حالًا يا سميحة!

انتفض حمدي واقفًا وهو يقول بلهجة آمرة لا تقبل النقاش:

- مالوش لزوم يا آنسة سميحة، أنا هاخد نهى حالًا للمستشفى!

شعرت أن الأمور قد تتصاعد بين زوجها ومديرها، خاصة وهي تسمع نبرة غضب واضحة لم يسبق لها وأن سمعتها من زوجها قبلًا، بل أن هدوءه غير المتناهي كان السمة الأساسية فيه، فلم يسبق له أن رفع صوته عليها، أو أن أطلق لغضبه العنان كما تستشعره الآن من نبراته المحتدة وإن انخفض وترها!

ولهذا همّت بالكلام عندما اندفع صوت ثالث يهتف صاحبه بقلق واضح:

- نهى!!!! إيه اللي جرى؟!!!

وهنا، وكأن زوجها قد استحال إلى آخر لا تعلمه أبدًا، حتى أنها شكّت أنه ينتمي للمتحولين (أبطال مسلسل كرتوني شهير)! فقد اختفى الحمل الوديع تمامًا، متحوّلًا إلى.. تنينٍ غاضب، يكاد ينفث النيران في وجوه من حوله!!!

هدر حمدي وهو يميل على نهى يحملها بين ذراعيه وسط ذهول الأخيرة وصدمة سميحة واستنكار عيسى واستهجان وغيرة مروان الواضحة

- هو فيه ايه؟.. نهى دي تبقى مراتي، أنا مش مالي عينيكم ولا ايه؟.. اتفضل انت وهو بقه، ادُّونا سكة، خليني آخد مراتي – مشددا على الكلمة – وأروح أطمن عليها!!

بتذمر أفسح كلٌ من عيسى ومروان الطريق لحمدي الذي خرج يحمل نهى بين ذراعيه كمن يفرّ بكنزه هرباً من اللصوص المتحلّقين من حوله يريدون سلبه إياه، وما إن اختفى بحمله الثمين حتى وقف كلاهما يراقبانه وقد ارتسم على وجهيهما علامات الغيظ والحسرة!!

××××××

وقفت نهى عاقدة ساعديها تطالع زوجها وهو يحاول شرح مسألة حسابية لولده أنس الذي يدرس في الصف الثالث الابتدائي، لتقاطعه فريدة ابنته التي تدرس في الصف الاول الابتدائي وهي تدفع إليه بدفتر رسوماتها تطلب منه أن يرسم لها سمكة، فهي لا تعلم كيفية رسمها!!

رفع رأسه عندما سمع ضحكتها المكتومة، ليقول بقلق واضح:

- نهى، انت قمتي ليه؟.. لو عاوزة أي حاجة قلت لك تناديني بس!

ابتسامة رقيقة اعتلت ثغرها، وهي تدنو منه، لتميل عليه قائلة:

- أنا كويسة الحمد لله، الموضوع كله ارهاق مش أكتر..

حمدي بغير رضا:

- أنا مش فاهم، ليه ما رضيتيش نروح المستشفى؟.. كنّا اطمّنا عليكي..

نهى وهي تتناول دفتر رسومات فريدة وتقوم بوضع بعض الخطوط السريعة بالقلم الرصاص:

- الموضوع ما كانش مستاهل، وبعدين انت عارف اني مش بحب الدكاترة، وقلت لك لو ما اتحسنتش هنبقى نروح، والحمد لله، بعد ما نمت شوية، قمت أحسن بكتير..

لم يستطع منع نفسه من التعليق:

- ما سمعتكيش بتعترضي يعني والمدير بتاعك هو والتاني دا كل واحد فيهم عاوز ييجيب لك دكتور...

رفعت نهى عينيها من فوق رسمتها وقالت ببراءة زائفة:

- هو أنا كنت دريانة بالدنيا؟.. وبعدين كتّر خيرهم بردو يعني، أصلك متعرفش أستاذ عيسى، حنيّن جدًا مع الموظفات بصراحة!

حمدي بهتاف ساخر:

- والله؟!!!

نهى ببساطة وكأنها لا تشعر بغضبه المتزايد:

- أما بقى مروان.

ثم تداركت نفسها سريعًا وكأن نطقها للاسم مجرّد خطأ غير مقصود في حين أنها قصدت نطقه بتلك الخفة والأريحية:

- أقصد أستاذ مروان، فبصراحة إنسان شهم وغاية في الذوق!!

- نعم، يا ختي!!!!!!!»...

صيحة سخط وغضب صدرت عنه جعلتها تطالعه في دهشة في البداية ثم بعدها نقلت نظراتها بينه وبين ولديْهما في عتاب ولوْم، ليجزّ على أسنانه بقوة، بينما قالت هي لطفليها:

- يللا يا حبايبي، قوموا اغسلوا أسنانكم، عشان تناموا!

نهض حمدي وقال بخشونة وهو يراها تهم بالوقوف للحاق بصغارها:

- استني انتي، أنا هروح معهم..

××××××××

عاد بعد مدة قاربت الساعة بعد أن اطمأن أن صغاره قد غرقوا في سبات عميق، ولكن ليس بالسهولة التي كان يتصوّرها، فقد أجهداه وهما يطالبانه بـ «حدوتة قبل النوم»، ولمّا كانت معلوماته في هذه الحوادايت تعدّ صفرًا، فحاول تذكر بعضًا من حواديت والدته، ليتذكر قصة علي بابا والأربعين حرامي، وبينما ظن أنه قد أفلح في اختيار حدوتة مشوقة، علم بعد ذلك أنه قد فشل فشلًا ذريعًا وصغاره يجادلانه بأن علي بابا لص فهو قد سرق مغارة اللصوص، وبدلاً من إبلاغ الشرطة عنهم قام بسرقة مسروقاتهم!!..

ليقضي معظم الوقت محاولًا إقناعهما بأن علي بابا رجلٌ ذكي وأن زوجته مرجانة استطاعت الانتقام من أخيه قاسم والقبض عليه وعلى زعيم العصابة، فيما يصرّان هما على أن مرجانة لصّة كزوجها تمامًا فهي قد طاوعته في سرقته، ولم تنصحه باللجوء إلى الشرطة!!!

ألقى بنفسه على الأريكة بجوار زوجته التي كانت تتابع إحدى البرامج على التلفاز، لتغلق الجهاز وتلتفت إليه قائلة:

- تعبوك على ما ناموا مش كدا؟..

حمدي وهو يتطلع إليها بابتسامة خفيفة:

- ما كنتش أعرف انه صعب اوي كدا! ربنا يكون في عونك فعلًا، كل ليلة نفس الموّال عشان يناموا!!

اكتفت بهز كتفيها وقالت:

- أطفال، مش عرايس متبرمجة هدوس على الزرار فيناموا!!

تنحنح حمدي وقال:

- نهى أنا كنت عاوز..

أسكتته رافعة يمناها وهي تقول:

- معلهش ، أنا اللي لازم أقولك القرار اللي وصلت له.

قطب حمدي قائلًا:

- قرار!! قرار ايـ..

وبتر عبارته وقد هاله أنه نسي تمامًا موضوع زيجته من نهال والذي لأجله طلبت نهى مهلة للتفكير، وها هو الوقت قد حان لمعرفة قرارها، ولدهشته وجد أنه يخشى هذا القرار وتبعاته!!!

قابلته بابتسامة مدروسة:

- أنا عارفة أنه دا حقك، وإنك عمرك ما هتقصّر في حق ولادك، وأنا مش ممكن هحرمهم من أبوهم، عشان كدا لازم يشوفوا اللي انت اخترتها، لانها هتبقى مرات أبوهم، دا غير إنهم هيعيشوا معاها فلازم تحاول تخليهم يتأقلموا على بعض من دلوقتي!!!

حمدي مرددًا بصدمة:

- يعيشوا معاها!!!!

نهى ببساطة:

- أكيد مش كل الوقت، هنبقى ننسّق الوقت بيننا وبين بعض، يعني شوية معانا وشوية معاكم!!

حمدي بحيرة وغير فهم:

- معاكم مين؟..

نهى ببساطة:

- انت واللي اخترت تتجوزها!!

حمدي بنفس حيرته وذهوله:

- ومعانا مين؟..

أخبرته وهي تخفض عينيها بخجل مقصود:

- أنا والإنسان اللي هكمل معاه حياتي، أكيد يعني مش هترهبن!!!

انتفض واقفًا كالملسوع:

- ايه؟!!!إنسان ايه؟.. عاوزة تتجوزي عليا ؟!!!

نهضت نهى ووقفت أمامه قائلة ببساطة:

- لا، إنت اللي عاوز تتجوز عليا!.. فأكيد أنا مش هبكي على الأطلال بعدك يعني، أنا لسه صغيرة وأكيد ربنا هيعوضني خير، لأني لآخر لحظة براعي ربنا فيك وفي بيتك وولادك كويس اوي..

نظر لها باستنكار:

- بس انت مراتي

ردت وهي تحرك كتفيها وبلا مبالاة أغاظته:

- مش لوقت طويل، شوف انت هتتجوز امتى، وقبل ما تكتب عليها، هتكون مطلقني!!!

رد بصدمة:

- أطلقك!!! مين اللي قال اني هطلقك؟!!!انت مراتي وهتفضلي مراتي! مش معنى اني هتجوز تاني اني أطلقك!!!

بينما قالت بكل برود وحزم:

- يمكن مش معناه بالنسبة لك انت، لكن بالنسبة لي أنا أرفض يكون لي شريك فيك، أظن انه دا حقي، تمام زي ما الجواز التاني حقك!!

رد عليها هو الأخر باستهجان تام:

- انت بتلوي دراعي ؟!! هتعاقبيني عشان بنفّذ شرع ربنا!!! انت ناسية انه ربنا قال»مثنى وثلاث ورباع»؟!!!

فهتفت بغضب بارد:

- لا، انت اللي نسيت انه ربنا قال «وان خفتم ألّأ تعدلوا فواحدة»، وفي آية تانية في نفس السورة قال سبحانه «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم».. دا غير انك ناسي حاجة مهمة جدا!!!!

حمدي بخشونة:

- اللي هيا ايه إن شاء الله؟..

نهى باستخفاف:

- إني طلبت من بابا يشترط عليك في عقد الجواز إنك ما تتجوزش عليا، وانه لو دا حصل يبقى من حقي طلب الطلاق، «العقد شريعة المتعاقدين

يا باش مهندس»!!

وانصرفت من أمامه وقد تركته واقفًا فاغرًا فاهه ينظر إلى الفراغ أمامه وهو في حالة ذهول تام!!!!!

ضحكت صديقتها وقالت وهي تتناول قدح الشاي لترتشف منه:

- يخرب عقلك انت مصيبة!!! الراجل مش عاوز يسيبنا لوحدنا أبدًا، زي ما أكون هخطفك، مش جاية أزوك وأطمن عليكي، انت عملتي له ايه؟!!!

فأجابتها بابتسامة ناعمة وعينان تلمعان:

- ولا حاجة، كل اللي عملته أني وضّحت له أنه الحاجة اللي في ايده وهومش حاسس بيها، كتير غيره هيموتوا عليها!!.. دا غير انه الأسبوع اللي طلبته مهلة عشان أفكّر، خليته ومن غير ما يحس يشاركني في كل حاجة لها علاقة بالأولاد، وفي نفس الوقت ابتديت أغير طريقتي معاه، الحاجات الصغيرة اللي كان مش حاسس بيها وواخدها حق مكتسب، زي سهري يوم ما يسافر في شغل وما انا مش لغاية ما يكلمني يطمني عليه انه وصل الفندق، وهو واخدها تحصيل حاصل، لما سافر يومين اسكندرية وما عملتش كدا، استغرب، انا كنت كل شوية اتصال او رسالة، لكن وقتها، ما سألتش، دا طبعا غير المذاكرة، ووقت التمرين، والدكتور و و و، كل الحاجات دي كنت شايلاها عن كتافه خالص، وكانت النتيجة انه مش حاسس باللي بعمله، العيال بتكبر وتنجح، والدنيا ماشية، هو ما كانش مقدّر حجم المجهود اللي بعمله، لكن لما شديته معنا من غير ما يحس، شاف بنفسه، دا يا مؤمنة ليلة واحدة طلبوا نيّمهم فيه، جالي يقول توبة!!!!

سميحة بانبهار:

- أستاااااذ ورئيس قسم!!.. لا طبعا وكله كوم والأستاذ عيسى ومروان بيه كوم تاني خالص!!

ضحكت نهى وهي تتذكر إصرار حمدي على أن تترك عملها، وعندما تشبثت به، أخبرها بأن البديل أن تنتقل لإحدى فروع البنك وهم كُثر، ولكنها لن تظل في مكان واحد يجمعها بالمراهق العجوز.. مديرها، والآخر زير النساء.. عميلها!!!!

فكان أن رضخت بتذمر زائف بالانتقال لفرع آخر، بينما بداخلها قد أقامت فرحًا شعبيًا، فزوجها وحبيبها يغار عليها، فلأول مرة تراه بهذا المزاج الناري والغضب المستطير!!!

علقت نهى قائلة:

- كل واحد فينا يا سميحة بيتعرض لفتن في شغله، لكن دا مش مبرر للضعف والخيانة، أنا بس حبيت أوضح له أنه أنا كمان في حواليا إغراءات كتير، لكن هو بس اللي مالي عيني، واللي أنا حافظاه في غيبته ووجوده، ومش ممكن أي حد مهما كان الإغراء إنه ياخد مكانه، حتى لو اتخانقنا او كان بيننا ما صنع الحداد، القلب دا – مشيرة إلى قلبها – عمره ما دق ولا هيدق لغيره!

سميحة بصدق:

- ربنا يديم عليكم سعادتكم حبيبتي، ويبعد عنك بنات التيت وولاد التيت!!

ضحكت نهى وقالت:

- لا اطمني، اتعلمت الدرس، ولا بنت تيت ولا تربتيت كمان هتقدر تهوّب منه!

سميحة باستفهام:

- بس انت من جواكي ما اتغيرتيش؟.. معقولة انت زي الأول؟ مافيش شك مثلا من ناحيتك؟..

نهى بهزة نفي بسيطة:

- لا، لسبب بسيط جدًا، أنا بحاول أنسى، مش هقولك إنى نسيت، لكن ما بحاولش أني أفتكر، لاني لو فضلت فاكرة اللي حصل وكل شوية أنغص عليه وعليا عيشتنا بالشك، وأعيد وأزيد في اللي حصل، كدا أنا بخسره بإيدي، وبسرعة الصاروخ كمان، بعد ما قلت له على الشرط في عقد جوازنا وغاب يومين ما كلمنيش وأنا حاولت أصبر مع إني كنت هموت من قلقي، ورجع لي ندمان، واعترف لي انه حاول يتخيل حياته من غيري، وأن مكانه جنبي يبقى حق لواحد تاني غيره، حس كأنه بيموت بالبطيء، وأنه مهما كان مش هيقدر يسيبني، وطبعاً أنا ما سهلتهاش عليه، وقلت له إني مش بسهولة أقدر أنسى انه فكّر في يوم انه يتجوز واحدة تانية، لا وكمان سمح لنفسه انه يبص لها، وهو في باله عاوز يتجوزها!..

تنهدت وهي تتذكر حاله يومها وقد احمرت عيناه وتجعدت ثيابه بينما لحيته وشاربه غير منمقين، فيما يجلس أمامها يطلب فرصة أخرى ليثبت لها ندمه، وليكفّر عن خطئه في حقّها، لتطلب... مهلة للتفكير!!!!!

أرادت ترك المنزل ولكنه رفض، وجهز حقيبة صغيرة بأشياءه الضرورية، وأخبرها بأنه سيكون بالمكتب، وإن سأله أيّ من أهله أو أهلها فسيخبرهم بأنه يتواجد حاليًا في مكان المشروع السكني الذي يعمل عليه، ولّما كان هذا

دأبه فلن يتعجّب أيّا منهم.

بعدما يقرب الشهر – وكان طوال هذه الفترة على اتصال بها بواسطة الهاتف، يسأل عنها وعن الأطفال، وبعد عدة أيام، حدث أن أرسلت إليه رسالة عبر تطبيق الواتس آب، تخبره بمعاد اجتماع أولياء الأمور – والذي لم يحضره قبلًا – لتبدأ مرحلة جديدة من التواصل بينهما عن طريق المواقع الاجتماعية ليلًا، والهاتف نهارًا، ليشعر كلاهما أنهما قد عادا لفترة الخطوبة ثانية مع الفارق بأن الأولى لم يكن يهاتفها إلا للضرورة والاطمئنان فقط، فيما الثانية فهي زوجته، ما يعني عدم وجود خطوط حمراء في الحديث بينهما!!

وقبيل الشهر بيومين، كانت في عملها حينما فوجئت به أمامها ينظر إليها تمامًا كصغيرها أنس عندما يخطئ وتخاصمه، وتطول فترة غضبها البارد منه فيأتيها تماماً بنفس نظرة والده الضائعة الآن يقول ذات الكلمات التي تسمعها من زوجها الآن مع الفارق أن الأول بصوته الطفولي الباكي، فيما الثاني بصوته الرجولي القوي الحزين:

- خلاص، مش قادر أكتر من كدا!!!!

ولم تعد هي الأخرى بقادرة على ابتعاده، أكثر من ذلك، وحمدت الله في داخلها أنه هو من أتى من تلقاء نفسه وليست هي من طلب منه، حتى لا ينكشف ضعفها أمامه، لتقف أمامه تخبره بهزة رأس بالإيجاب في موافقة صامتة، أنها قد عفت عنه!!!

لاحقًا بعد أن عادا إلى منزلهما، تحدث إليها، يخبرها بأنه قد أنهى أمر تلك الأخرى، وأنه قد اكتشف أنه لا يستطيع العيش بدونها هي، وليس للأطفال دخل في هذا، فهو يريد الاستمرار في زواجهما من أجلها هي أولًا وصغاره ثانيًا، ليطلب منها ساعتها وإن أتى الطلب في صيغة أمر، أن تترك العمل أو

أن تنتقل لفرع آخر، ولم ينتظر استفسارها الواضح في عينيها، ليخبرها بأن الأخرى قد أنهى عقد تدريبها بالمكتب لديه بعد أن رشّحها لأحدى الشركات الأخرى..

نظرت إليها قائلة :

- التجربة اللي مريت بيها يا سميحة علمتني حاجات كتيرة اوي، أهمها انه الواحدة مننا مش ضعيفة ولا مكسورة، ولا احنا اغبيا، بالعكس، كل ست تعرف نقط ضعف جوزها كويس اوي، ومفاتيحه كلها معها، هي الوحيدة اللي تقدر توصل له، وتخلّيه يعمل اللي هي عاوزاه وفي نفس الوقت يبقى حاسس انه هو الحاكم بأمر الله، مع انه في الحقيقة بيكون غلبان لا حول له إلا بالله..

علقت سميحة بضحكة:

- والله فيه كتير منهم أستغفر الله، وحسبي الله، لكن الصنف كله بجد... منهم لله!!!!!!

انطلقت ضحكة نهى صافية رقراقة وهي تقول:

- استغفر الله، ايه يا بنتي دا، انت بتدعي على جوزي قودامي؟.. بعد الشر عليه!

سميحة وهي ترفع يدها كمن يدلي بقسم:

- معاذ الله، حاشا وماشا!!!! أنا بتكلم في العموم!!

نهى وهي تطالع نقطة خلف كتف سميحة:

- امم، هو عموما حمدي رجع، فوقتك خلص، واقلبي الكلام قبل ما يسمع!!

دنا حمدي منهما، ليلقي السلام عليهما، متمتماً لنهى بصوت منخفض

بأنه في الغرفة، فنهضت سميحة وهي تقول بضحكة مكتومة هامسة لنهى:

- أنا همشي قبل ما الباش مهندس يطردني بالذوق، وانت جهزي لنفسك، شكله عاوز ياخدك حضن مطارات، ما شوفتيش الداخله اللي دخلها علينا وهو بيقرب منك، وربنا ما داخلة سلام دي داخلة بوسة..وِش!!!!!

ودعتها وانصرفت بعدها لتتجه هى إلى غرفتهما، وكانت قد ذهبت بولديها إلى عائلتها ليقضيا أجازة نهاية الأسبوع مع أبناء شقيقتيها، اللتين قدمتا إحداهما من المدينة الساحلية حيث تسكن مع زوجها، والأخرى التي حضرت للترحيب بشقيقتهما، لتتفق الشقيقات الثلاث بقضاء يومي العطلة الأسبوعية سوية، فما كان من نهى إلا أن تركت ولديْها، وحضرت لتجهيز حقيبة صغيرة بلوازمهم الضرورية...

دلفت نهى إلى الداخل، لتكمل تجهيز الحقيبة الذي قاطعها حضور سميحة، كانت تطوي ثيابها ترتبهم بداخل الحقيبة عندما امتدت يد تنتشلها من بين أصابعها بينما يهتف بدهشة وسخط:

- ايه دا؟..

سألته بعدم فهم:

- ايه مالك؟.. أنا مش قلت لك اننا هنتجمع كلنا عشان مي جت من الاسماعيلية؟..

رد بنزق:

- ايوة حصل، لكن دا ماله، ومال الشنطة دي إن شاء الله؟..

بينما أجابته وهي تواصل ترتيب الحقيبة:

- أبدًا يا سيدي، اتفقنا نقضي الويك اند هناك، سيبت العيال وجيت آخد لهم غيارين وليا انا كمان..

أمسك بكتفيها يرفعها حيث كانت منحنية فوق الحقيبة، وأدارها إليه، ليميل عليها هامسًا أمام وجهها حيث لفحتها أنفاسه برائحة العود والصندل ممتزجة مع رائحته الرجولية الخشنة:

- الولاد أنا موافق بالثلث، انما حضرتك بقه... لا وبالتلاتاف (3000) كمان!!!

قطبت حاجبيها بدهشة حائرة:

- ليه؟..

حمدي وهو ينحني برأسه حتى ارتطمت أرنبة أنفه بمقدمة أنفها:

- حالًا.. هقولك ليه!!!!!

ليخبرها بالتفصيل الممل والشرح الوافي وقد أسهب في تحليل وتدقيق الأسباب والمبررات، حتى أنهما استلقيا بعدها وقد خارت قواهما لكثرة الشرح والتكرار... لعدة مرات!!!!!

-تمت بحمد الله-

قبيلة «ميم وصاد»

بقلم الكاتبة السودانية / مها المقداد

«ميم» المانعة؛ لطالما فرضت على نفسها العزلة، ورأت أنَّ الحب هو أحد دروب الهلاك، تمسكت بما قد تربَّت عليه، وتعنتت في تطبيقه، في مجتمع أصبح فيه كل شيء مباح؛ كانت حرة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ؛ فالحر الحق هو مَن يقيد نفسه بنفسه.

وكأن الحب في بوادره وإرهاصاته الأولى؛ تبخُ براثنه عطرًا أشبه بمُخدر على العاشقين، فلا يدريا كيفما وقعا فيه؛ ويستفيقا منه بعدما يكونا قد غرقا في غيابته بالفعل.

«صاد» الصبور المثابر؛ دنا وحاول التواجد بقربها بشتى الطرق والأساليب، لم يخشَ أن يتعرض للفشل والرفض؛ فهي من وجهة نظره تستحق فعل أي شيء.

وقول حق؛ لقد كان ذا شخصية متفردة؛ فهو يُعد استثناء أيضًا، مقارنةً بكل من حاولوا أن يطأوا قلبها ، وكأنه جاء عوضًا لها عن كل التجارب المؤسفة التي أقحمت في عالمها رغمًا عنها، وأكرهتها في فكرة أن يكون لها شريك في هذه الحياة، لا تدري كيف فوّتت له الكثير من التجاوزات في اقتحام حياتها المؤمّنة ضد أي علاقة أو ارتباط؛ لكن في كل مرة حاولت أن تضع لها وله حدود، كانت تشعر بأن ثقتها فيه تزداد يومًا بعد يوم، تستشعر مصداقيته في كل ملمح من ملامح وجهه الصريح والواضح، كل ذلك على الرغم من أن شخصيتها ترفض الوثوق بأي شخصٍ يتطرق إليها، ويود في

أن يدنو منها بسهولة، وتُقر أنها تضعف كثيرًا أمام جوده وكرمه معها.

تقابلا أول مرة بحجة مقبولة؛ وكأنهما يؤديا مهمة رسمية، ليس للمجتمع أن يعيبها خلقًا، كانا من المفترض أن يتبادلا أوراقًا مهمة فحسب، ومن ثمَّ يرحلا كلا منهما في طريقه، لكنها لم تستطع رفض عزمه وإصراره في أن يجلسا معًا في أحد المطاعم القريبة، اكتفت باحتساء فنجان من القهوة معه فحسب، ولكن لا نبالغ في إخباركم أن احتساء فنجان القهوة هذا، قد استغرق منهما أكثر من ثلاث ساعات، مرَّت هذه السويعات كأنها ثوانٍ، فقد أخذهما الحديث إلى معرفة كل شيء عن بعضهما البعض؛ ولأن الصراحة والتلقائية هما سيِّدا ذلك الحوار؛ فقد أغرما ببعضهما أكثر فأكثر، لم يخب ظنه عن حقيقة شهرتها وأنها بالفعل فتاة متميزة وسط عالم يشوبه جمّ الزيف، وتيقنت أنَّه ليس بشابٍ يتلاعب، كغيره من فارغي العقول التي لطالما عانت منهم ومن طمعهم الزائد فيها؛ منذ أن بدأت معالم أنوثتها تتشكل.

كانت هذه أول مرة؛ تلك المرة المبررة، ولكن ماذا عن ذلك الشوق الذي تزداد نيرانه، ولم تتمكن تلك المرة الأولى من إخماده؛ بل إنها كانت عامل رئيسي في تأججه واشتعاله أكثر مما سبق، لم يتردد في أن يطلب منها أن يتقابلا مرة أخرى، والغريب أنَّها وافقت بكل سهولة ودون أن تعتبر لأي شيء.

التقيا على شاطئ النيل، شعور لم تجربه من قبل؛ لم تكن تعرف لمقابلات العشاق مذاقًا قبل تلك المقابلة، كان التوتر هو المسيطر في بادئ الأمر، ثمَّ بدأت تتلاشى تلك المخاوف، ابتساماتهما لا تفارق وجهيهما على الإطلاق، رغم أن الصمت يسود الأجواء، رائحة الحب تنثر عبيرها عليهما، وكأن كل شيء يحاول أن يساعدهما في التعبير عن حبهما بصوتٍ مسموع - على الأقل لهما، فإذا ببائعة الورد تعرض خدماتها، وإذا به يطلب بدل الوردة

اثنتين، ويهديهما لها، بينما كان وجهه يصب عرقًا، واحمرار وجنتيها يفضح خجلها الشديد؛ ورغم حدة كل تلك الانفعالات وتأثيرها القوي، إلا أنَّ الوقت كان سريعًا ما يُداهمهما؛ فلا يشعران مهما طال بطوله.

كان هناك جو من المرح والضحك يسود تلك المقابلة، أو بمعنى أدق الموعد الغرامي، روح الدعابة تتخلل تلك الأجواء الرومانسية، فقد صرحا خلال هزارهما بكل شيء، فقد تخيلا معًا أنهما ارتبطا بالفعل وتزوجا، زواجًا مدبرًا، فلم يتمكنا من الإقرار بالحب، وكأن الظروف والقدر؛ هما ما سيضطرانهما لأخذ هذا القرار الخطير، وكان التظاهر والتكبر المصطنع، هما الغالبان على حديثهما؛ فبعدما تخيلا زواجهما المدبر هذا، شرد وسرح بخياله؛ بأنه سيأخذها معه إلى الخلاء؛ حيث سيعيدان سويًا تعمير الصحراء الجرداء، سيشيدان معًا خيمتهما؛ وإذا به تتغير تقاسيم وجهه؛ ثم يتحدث بجدية، ويخبرها بأن عليها طاعته طاعة عمياء، ويتوعد لها بأنها إذا خالفته؛ سيقوم بعقابها بالضرب في تلك الصحراء، وسيجري ورائها إذا رغبت في الفرار؛ فإن تمكن من اللحاق والإمساك بها سيربطها في النخلة اليتيمة التي قاما بزراعتها معًا في بداية إقامتهما، ولن يتردد سيقوم بتقييدها وجلدها؛ فلا نجدة لها ولا صاحب، وبعد أن تتأدب سيُعالجها ويطعمها بنفسه؛ فترد عليه وصوت ضحكاتها يدوي في الأرجاء؛ وتخبره بأن ليس عليها هي فقط الحذر، وبأنها من الممكن أن تقبض عليه هي؛ ومن ثمَّ تقيده في تلك النخلة وتجلده؛ فالنصر للأقوى.

ضحكات عارمة تملأ قلبيهما بهجة؛ فما أجمل تلك العلاقات التي تسودها روح الدعابة، تملأها الذكريات الجميلة، تحتفظ بالكثير من لحظات الحب، الفرح، والتلقائية البالغة.

وكالعادة مضى كلا منهما إلى طريقه، فلم تكد تصل إلى منزلها، إلا

وصوت هاتفها ينبهها إلى اتصال منه؛ فهو يرغب في الاطمئنان على وصولها سالمة، ويطول بينهما الحديث هاتفيًا؛ حتى يرفع صوت آذان الفجر، يتصرفا وكأنهما لم يتقابلا ولم يجلسا معًا طوال هذه الساعات.

وفي اليوم الثاني؛ دُعيت للذهاب في رحلة نيلية مع صديقاتها، وقد مررن بنفس المكان؛ حيث قابلته؛ وفجأة تتغير معالم وجهه وكأن قلبها قد سُلب منها في ذلك المكان؛ وبدأت تستفيق من أحلامها، وتهبط على أرض الواقع، خفقات قلبها ازدادت ضراوة وإيلامًا في صدرها، وتتساءل عما إذا سيجمع القدر بينها وبينه في بيت واحد؛ أم سيفرقهما وستبقى الحسرة حليفتها!

فتلك هي علامات الحب العذري والحقيقي، فقد بدءا بإعجاب عقلي ثمَّ تأكد وتوحدت الأفكار، وساد التفاهم، ومن هنا لاح الغرام على علاقتهما؛ ولكن ماذا عن الواقع ومقتضياته، فقد كانت هي من الشرق بينما كان هو من الغرب، ومن الطبيعي أن تكلل هذه العلاقة بالزواج؛ فقلما يجتمع زواجان يتمتعان بهذا القدر من التفاهم والوعي.

كما أنها تحيا في مجتمع لا يرى انجاز أفضل للفتاة من أن تتزوج، وأن تبني أسرة، ولم تكن لتتمرد على مقتضيات ذلك المجتمع، أو لترفض تلك الأعراف؛ فكانت كغيرها من بنات جنسها تطمح إلى تطبيق ذلك أيضًا، وترغب بشدة في بناء أسرة تعوضها عن أسرتها التي فقدتها، كما أنها كفتاة ذات شأن تحيا في مجتمع يمجد في الفتاة أنوثتها لا نجاحاتها العلمية والثقافية؛ فلطالما تعرضت لمغريات ومضايقات، من ذوي العقول والأفئدة المريضة، فقد سئمت ألاعيب الرجال، والمعيشة وسط كل هذا التدني المحيط، ورغبت بشدة في الاستقرار، وبناء بيت سعيد، تكون فيه امرأة لرجلٍ واحد؛ لاسيما أن هذا الرجل موجود بالفعل وقد وقعت في غرامه؛ ولكن ماذا عن ظروفه

المادية، هل هو مستعد للزواج فعلًا؛ أم أنه لا حول به ولا قوة؛ وليس بيديه حيلة كالكثير من شباب مجتمعها.

نعم!... هي الآن تعيش بقلبٍ متحير؛ ما بين قلبٍ عاشقٍ يرغب في أن يتمتع بحبه، يرى أنه يستحق أن يحظى بالقليل من السعادة بعد كم ما رآه من شقاء فيما مضى، وبين نذير سوء وانكسار محتمل يهدد قلبها الرقيق يخبره بأن مصيره أن يبقى منفطر إلى آخر العمر، ومن ثمَّ تتحول زهرة شبابها إلى هشيمًا تذروه الرياح...

هلوسة الخوف من فقدان الحبيب هي التي تسيطر؛ تملأ رأسها بالجمل التشاؤمية؛ وتردد بأنَّه استثناء!... وتراجعها؛ بأن إعطاءه فرصة دون غيره خطأ كبير؛ فالمبادئ لا تتجزأ، وتذكرها واقعيًا أنها لم تندم يومًا حينما تمسكت بالعادات والتقاليد والمبادئ؛ فالحقيقة أنها لم تشعر بالحسرة والانكسار إلا عندما استثنت!

تمت بحمد الله

خاطرة

لك كل السلام

ولاء محمد

لا ألومك بالنسيان أو بنسج خدعك باقتدار،

فقط ألوم الزمان الواهم بوصفك مشكاة للأحزان

لا أتهمك بجرم الغدر فقد سبقك الزمان بكل الأشكال،

فقط ألومك بانتشال صريع من براثين الموت لتنسل روحة قطرة قطرة،

ألومك بوري جرح ليتحول شرخ بجدار الروح، ألومك بمحو دمعة باتت نقطة من سيل الدموع، ألومك بغرس سيف الود بجرح غائر غائر يا سيدي.

أما أنت فبرئ لأني من تشبث بيد منزلقة و قدماي على حافة اليأس>

أنا من حاول خمد نيران الحزن بقطعة فرحة بالية، أنا وما سوايا من جاني، فلك يا سيدي أقدم اعتذاري على ما بدر منى من حسن ظن في اختياري، فتلك نتيجة أن أعظم قراري سلاما لطول ظهر زرع الجراح، و سلاما للأقدار أما أنت فلك كل السلام..

المحتويات

المقدمة ٣
إني أحاكم ٥
ماذا لو؟ ٧
مات ليلة أمس ١٩
عنقاء بلا رماد ٢٤
ليلة باهظة الثمن ٤١
عزيمة أنثى ٥٣
أين عمري؟ ٦٢
دموع على الطريق ٧٦
كيف حالك يا قطعة السكر ٨٦
أنا من إسرائيل ٨٧
المنبوذ ٩١
الوعد الصامت ٩٦
بنكهة الخبز اليابس ١٠٦
ست الحزن ١١٣
عذابات وطنية ١٢٣
ساقية الدحلاب ١٣١

امرأة من صفيح.....١٤٧
مثنى وثلاث.....١٥١
قبيلة ميم وصاد.....١٨٣
لك كل السلام.....١٨٨